

تأنيس المسجونين

وتنفيس المحزونين

تصنيف

إدريس بن علي بن الغالي السناني

المتوفى ١٣١٩هـ

تحقيق الأستاذ

عبد القادر أحمد عبد القادر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار قلوب المهتدين، وأسبغ عليهم من نعمه مالا حصر لها ولا عدّ، وأفرغ في قلوبهم نعمة الصبر على البأساء والضراء، وبعد،

خلق الله سبحانه وتعالى في علاه الإنسان، وأسكنه في هذه الأرض إلى أجل مسمًّى لديه، ولم يجعل حياته فيها رتيبة تسير على نسق واحد؛ لأنها لو جعلت كذلك لصارت مملة، ولكن الله جلّت حكمته، لأمر أراده، وحكمة أمضاها، جعل فيها الأضداد، النعيم يقابله الضنك، الرخاء يقابله الشدة، السعادة يُقابلها الشقاء، الحرية يقابلها السجن.

وجعل سبحانه أولياءه المتقين أشدّ الناس بلاءً بعد الأنبياء، وما قضى ذلك إلا ليبلو عباده المخلصين، ويعلم منهم الصابرين، الذين أعدّ لهم في الحياة الآخرة جنات النعيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وبشّر الصابرين**﴾.

وفطر الإنسان على مشاركة أخيه أحزانه، وعلى التخفيف عنه مما يعانيه، ويشاطره في كل شؤونه، إما بمدّ يد المساعدة، والوقوف إلى جانبه في مواقف الشدّة، بمدّه إياه بما يحتاج إليه، وإما بالكلمة الطيبة يقدمها إليه في مجالس الوعظ والإرشاد، وإما بالكتابة إليه، في حال عدم التمكن من التواصل.

والكتاب الذي بين أيدينا، ونقدمه اليوم محققًا، إنما هو رسالة إخوانية، شارك فيها كاتبها أخاه في الله، مخففًا بها عنه من محنته التي أصيب بها، حيث نستشف من الرسالة أنه تعرض للسجن، فكتب إليه هذه الرسالة مسلّيا إياه مما يعانيه من فقدان الحرية.

وإن ما يعانيه شعب فلسطين، منذ النكبة، عام ١٩٤٨م ولا يزال يعاني، وقد اشتدت معاناته قسوةً منذ الثامن والعشرين من أيلول سنة ٢٠٠٠، بداية الانتفاضة الثانية، التي لا تزال في أوجها، والتي خرجت من قممها؛ لتطهير أقدس المقدسات الإسلامية في فلسطين، من دنس يهود، وما يتعرض إليه العراق الآن من هجمة شرسة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فتمطر أهلنا في العراق بوابل من الصواريخ، وأسلحة الدمار الشامل على تنوعها. دفعنا إلى تحقيق هذه الرسالة، لوجود قاسم مشترك بين موضوع الرسالة، وما يعانيه الشعبان؛ أبناء فلسطين من قهر وحصار، حتى وصل الأمر إلى صعوبة الوصول من قرية إلى قرية، لا يفصل بينهما سوى كيلومتر واحد أو يزيد عنه قليلاً، علّنا نخفف عن أنفسنا، نحن من في الشتات، ما نعانيه، من غربة، ومن تفجع على الأهل تحت نير الاحتلال والحصار والتدمير للمنازل والبساتين، وشعب العراق من وطأة الضربات الصاروخية، التي تتعرض لها المدن العراقية فتحرق وتدمر، ولعلنا نثير الهمم وكان الله لنا ولهم عونًا وحافظًا.

وقد رأينا أن نبدأ بتعريف بالمؤلف، وبالرسالة، ومصادره فيها، ثم نصف المخطوطة التي اعتمدنا عليها في التحقيق، ثم نوضح عملنا، مستمدين العون والسداد ممن لا يخيب من لجأ إليه، ويجيب دعوة الداعي إذا دعاه، سبحانك اللهم، يسِّر لنا أمرنا، وارزقنا الصدق في القول والعمل، وسدد خطانا، وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، وخفف عنا مقتك وغضبك، فإننا مقصرون في حق أنفسنا، بابتعادنا عن أوامرك، التي تقضي بنصرة المظلوم، وبالدفاع عن أرض المسلمين.

اللهم هذا عملنا نتقدم به إليك، فغشيه بالقبول.

تأنيس المسجونين وتنفيس المحزونين

المؤلف[1]:

لم تسعفنا المصادر والمراجع التي ترجمت له بشيء يُشفي غليل الباحث، فلم نجد فيه سوى اسمه، وذكر كتابين أو ثلاثة من مصنفاته، كما أننا لم نتمكن من الاطلاع على كتابين من الكتب التي ترجمت له، الأول: إتحاف المطالع، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، وذيله الذي لم يذكر فيه سوى تاريخ وفاته، وهو مخطوط، والثاني: كتاب تاريخ الشعر، الشعراء في فاس، وهو مطبوع، وقد أعيانا البحث، فلم نتمكن من الاطلاع عليه. لذلك لم نتمكن من تعرّف نشأته، أو أسرته، أو شيوخه، أو جل مصنفاته، وكلّ ما استطعنا أن نعرفه أنه:

إدريس بن علي بن الغالي السناني، فاضل من أهل فاس، مولدًا ووفاة[2]، ومن خلال ما ذكر من مصنفاته نستنتج أنه أديب، شاعر، له باع طويل في الشعر الفصيح، وفي الشعر العامي، الذي يطلق عليه في المغرب اسم ((الملحون))، وأنه كان يساجل أديب المغرب أبا العباس أحمد بن المأمون البلغيثي (-١٣٤٨هـ)، كما أننا لم نتمكن من معرفة سنة ولادته. وأورد الزركلي[3] له أربعة عناوين من مؤلفاته هي:

١- ديوان شعره، المعنون بـ: الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح، وهو مخطوط، نسخته في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ١٦٧٨ك.

٢- المقامة المغنية عن المدامة، وهي بعنوان: روضة المنادمة والإيناس في لطف محاسن مدينة فاس. طبعت طباعة حجرية بفاس في ثماني صفحات.

٣- ديوان الشعر الملحون.

٤- رسالة تأنيس المسجونين وتنفيس المحزونين، وهي الرسالة التي نقدمها في هذا البحث محققة. وله رسائل أخرى.

ووجدنا في كتاب معجم المطبوعات الحجرية[4]، بعد ترجمته مباشرة، ترجمة ابن له، هو أبو عبد الله محمد الرضى بن الحاج إدريس السناني الهالي الفاسي أصلاً، الآزموري استيطانًا ووفاة وإقبارًا، وذكر له مؤلفات، وقد جاءت ترجمته أوفى من ترجمة والده.

وقد أسلم الأستاذ إدريس السناني روحه لبارئها في مدينة فاس سنة ١٣١٩هـ.

(١) ترجم له في: إتحاف المطالع، لابن سودة، مخطوط، دليل مؤرخي المغرب: ٢/ ٤٠، معجم المطبوعات المغربية: ١/ ١٦٢، المطبوعات الحجرية: ١٥٢، تاريخ الشعر والشعراء بفاس: ٩٤، التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من ١٩٠٠-١٩٢٧م: ٢٨٣، موسوعة أعلام المغرب: ٨/ ٢٨٢٧، الأعلام: ١/ ٢٨٠، معجم المؤلفين: ١٣/ ٣٧١.

(٢) التأليف ونهضته في المغرب: ٢٨٤.

(٣) الأعلام: ١/ ٢٨٠.

(٤) ورد ذكر مصنفاته المثبتة في: موسوعة أعلام المغرب: ٨/ ٢٨٢٦، التأليف ونهضته في المغرب: ٢٨٤.

الكتاب:

رسالة أدبية صغيرة، من الرسائل الإخوانية، كتبها وبعث بها لأخيه في الله محمد بن قاسم الصادقي(٥)، الذي امتحنه الدهر في نفسه، وقسا عليه، ورماه عن قوس نوائبه، ولكنه لم يذكر فيها المحنة التي أصابت الصادقي، إلا أننا نستنتج من قراءة الرسالة، وما ورد فيها، أنه تعرض لمحنة السجن، ولم نجد من ترجم له؛ لنصل إلى أسباب سجنه.

وقد جاءت الرسالة مستوفية العناصر الفنيّة للرسائل الإخوانية، فبدأها بالبسملة والحمدلة، التي توحي، كما توحي كل حمدلة يبدأ بها المصنفون من أسلافنا، بموضوع الرسالة، حيث ذكر فيها أن الدنيا سجن المؤمن، وأن ما يصيب الإنسان فيها إنما سبب لرفع مكانته ودرجته، وتكفير لذنوبه.

ثم أخذ يواسيه، ويخفف عنه، بأن الأمر لله، وأن هذه حال الدهر، ثم عدد له من شربوا كأس هموم الزمن، وكابدوا أنواع المحن، مبتدئًا بآل بيت رسول الله ﷺ، فذكر منهم: زين العابدين، عليّ بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، وموسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين، والحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم.

ثم عرّج على أئمة المذاهب السُّنية، فعرض محنة أبي حنيفة، النعمان بن ثابت، وسجَّل محنة الإمام أحمد بن حنبل، حيث كانت محنته في العقيدة؛ أي في قضية خلق القرآن.

بعدها انطلق إلى محن المتصوفة، وذكر منهم محنة ذي النون المصري، وعلي بن حرزهم، وأبي مدين التلمساني، وابن تيمية.

ثم انطلق إلى ذكر محن الملوك والوزراء، فذكر ما أصاب المعتمد بن عباد، وابن زيدون.

ثم عرّج على القضاة والأدباء، فذكر منهم علي بن عبد الرحمن السلاسي، وأبا العباس أحمد المدعو حمدون المزوار.

ثم رجع إلى الوراء قليلاً فذكر محنة الوزير لسان الدين بن الخطيب، وذكر بعده ما تعرض له التنبكتي، أحمد بابا السوداني، ثم ذكر محنة المتصوف العربي الدرقاوي، وابني عجيبة، أحمد ومحمد الهاشمي، ومحمد المكودي. ثم ذكر بعض الحكايات التي وردت في الكتب في هذا الموضوع.

بعد ذلك ذكر ما ورد عن النبي يوسف وما قاله، حيث قال للغلام الذي ظن أنه خارج من سجن عزيز مصر: ﴿**اذكرني عند ربك**﴾، وما سبب له هذا القول من تأخُّر في الخروج من سجنه بضع سنين.

ثم عاد إلى ما يروى من حكايات، مثل حكاية الرجل الصالح الذي سجنه الحجاج، وحكاية بزر جمهر الذي سجنه أنوشروان.

بعد ذلك ختم رسالته بقصيدة نظمها هو تتكون من عدة أبيات. وبدعاء أثر عن الإمام علي كرّم الله وجهه، فأحاديث للرسول ﷺ خاتمًا بحديثه ﷺ: (آخر ما تكلم به إبراهيم، حين ألقي في النار، حسبي الله ونعم الوكيل).

---

(٥) لم نجد من ترجم له.

وقد جاءت الرسالة وافية بالغرض، ملتزمًا مؤلفها بالقواعد الفنيَّة للرسائل الأدبية، وقد أحسن فيها الافتتاح، كما أبدع فيها الانتهاء.

فقد جاءت حمدلته فيها موحية بموضوعها، بل بمحنة من أرسلت، أو كتبت إليه، مستعينًا فيها بما ضمنها من الأحاديث النبوية الشريفة، التي ترفع من معنويات متسلمها، ذامًّا في بدايتها الدنيا، حين استشهد بعبارة من عبارات الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى، في شأن الدنيا، أنها سجن للمؤمن، وجنة للكافر، ولابدّ في النهاية من الانطلاق إلى آفاق أوسع، يتمتع فيها المؤمن بكلّ ما تشتهيه نفسه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت. وإن المصائب والمحن ما هي إلاّ سبيل لرفع الدرجات، وتكفير الذنوب، والحياة الدنيا ليست ثابتة على حال، بله الخلود فيها.

وبعد الحمدلة، لا بدّ من الشكر لله جلّ وعلا، على كل ما صنع، فهو مالك الأمر كله، وهذا الأمر تطلب منه تأييد الفكرة وتوثيقها بآيات شريفات، جاءت في الرسالة متتابعة يأخذ بعضها بقرن بعض.

وحتّم عليه الموقف أن يرفع من شأن من يحدّثه، حتى لا يشعر المخاطب بأنه أقل من محدّثه، كأنه يريد أن يذكره بأمر يعرفه تمام المعرفة، ولا يغيب عن فكره، حتى لا يشعر المخاطب بالدونيَّة، ذلك أن الدهر هذه طبيعته، لا يجعل هدفه إلا خواص الناس، وبين له أن هؤلاء الخواص ذوي الأحساب، كثيرا ما شكوا الدهر، وقد ملئت الكتب بأخبار ظلمه إياهم، مما دفع هؤلاء إلى التسابق في مضمار هجائه، وبخاصة الشعراء منهم، لذلك لا بدّ من أن يستشهد بأبيات شعرية تعضد هذا الرأي.

بعد ذلك انطلق في تسجيل محن من أصيب بمحن الدهر، مسجلاً فيها نبذًا حكيمة طريفة من أقوالهم، مستعينًا في ذلك بشعر من كان منهم شاعرًا.

وجاءت الخاتمة لتغلق باب الحديث في موضعها، وهو ما يسمى في علم البلاغة حسن الانتهاء والتخلص، حين ذكر آخر كلمة قالها النبي إبراهيم (حسبي الله ونعم الوكيل).

وقد زيَّنها بأسلوبه المسجع، حيث جاءت سجعاته سلسة غير متكلفة، تؤدي الغرض من استعمالها.

لكننا بعد قراءة الرسالة قراءة نقدية متأنية وجدناه لم يقم بترتيب من تعرض لذكر محنهم، وإن كانت البداية توحي بالترتيب، حيث بدأ بما تعرض له آل البيت النبوي الشريف، ثم ثنّاهم بالإمامين أبي حنيفة، وابن حنبل، وثلث بالمتصوفة، ثم تحدث عن الملوك والوزراء، من مثل ابن عباد، وابن زيدون، ثم تناول العلماء والأدباء والقضاة، ثم عاد إلى لسان الدين ابن الخطيب من الوزراء، ثم رجع إلى التنبكتي من العلماء، وإلى عبد السلام جسوس، ثم رجع إلى العربي الدرقاوي من المتصوفة.

فلو أنه تناول كل فئة من الفئات السابقة، لجاءت الرسالة مرتبة وفق منهج لا يؤاخذ عليه، إضافة إلى عدم عزو بعض الأخبار إلى مصادرها، مع العلم أنّه عزا بعضها، لكن هذه المنهجية غير المرتبة لا تنقص من قيمة الرسالة، ولا تغض منها.

المصادر التي اعتمد عليها:

إن المؤلف، عندما ذكر قصص من احتج بهم؛ للتخفيف من معاناة مخاطبه وتسليته، حدد في بعض المحن مصادره، ذاكرا بعضها في بداية روايته، وبعضها في نهايتها، وترك كثيراً منها دون عزو.

ومن المصادر التي اعتمد عليها:

- نور الأبصار، للشبلنجي.
- مشارق الأنوار.
- الطبقات الكبرى للشعراني، المسماة بلواقح الأنوار.
- قلائد العقيان، للفتح بن خاقان.
- أخبار الأول، للإسحاقي المسمى: لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول.
- تاريخ الكردودي، المسمى بـ: الدر المنضد الفاخر بما لأولاد مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر.
- المجالس السنية على الأربعين النووية، للفشني.
- حديقة الأفراح لإزالة الأتراح في الأدب والنوادر، للشرواني اليمني، أحمد بن محمد بن علي.

أما الأخبار التي لم يذكر مصادره التي نقلها أو اختصرها منها فهي:

- قصة ذي النون المصري، وردت في الطبقات الكبرى للشعراني.
- قصة أبي مدين، وردت في الدرر الكامنة.
- قصة ابن زيدون، وردت في قلائد العقيان.
- قصة لسان الدين بن الخطيب، وردت في نفح الطيب.
- قصة التنبكتي، وردت في نيل الابتهاج، وفي البستان.
- قصة العربي الدرقاوي، وردت في سلوة الأنفاس.
- قصة زين العابدين، وردت في نور الأبصار.
- قصة موسى الكاظم، وردت في نور الأبصار.
- قصة الحسن الخالص، وردت في نور الأبصار.

نسبة الكتاب:

ورد في نهاية الرسالة قوله: وكتبه أخوكم في الله إدريس بن علي السناني... وكان الفراغ من إخراجها من مبيضتها يوم الأربعاء سادس ذي القعدة الحرام من عام تسعة وتسعين ومائتين وألف، انتهت.

وقد ذكرها له ابن سودة في كتابه إتحاف المطالع.

المخطوط:

تقع الرسالة ضمن مجموع محفوظة نسخة مصورة عنه على ميكروفلم في معهد المخطوطات العربية في الكويت، يتكون من:

- قصيدة نونية، مجهولة الناظم، شغلت الأوراق ١-٣، يمدح بها ناظمها الرسول ﷺ.
- تأنيس المسجونين وتنفيس المحزونين، وتشغل الأوراق ٤-١٥.
- تقريظ على الكتاب، للكردودي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الكلالي، وهو قصيدة رائية تتكون من ١٠ أبيات، وقد قدم لتقريظه بمقدمة نثرية قصيرة.
- تقريظ ثانٍ على الكتاب، للأستاذ محمد بن العربي قصارة، وهو قصيدة بائية، تتكون من ٩ أبيات، وقد قدم لتقريظه بمقدمة نثرية.
- قصيدة بائية، لمؤلف الكتاب، ينصح فيها أخاه في الله، محمد بن قاسم الصادقي، الذي ألف له رسالته تأنيس المسجونين، نظمها، كما ورد في أولها، يوم مولد النبي ﷺ. تتكون من ٩ أبيات، وقد قدم لها بمقدمة نثرية.

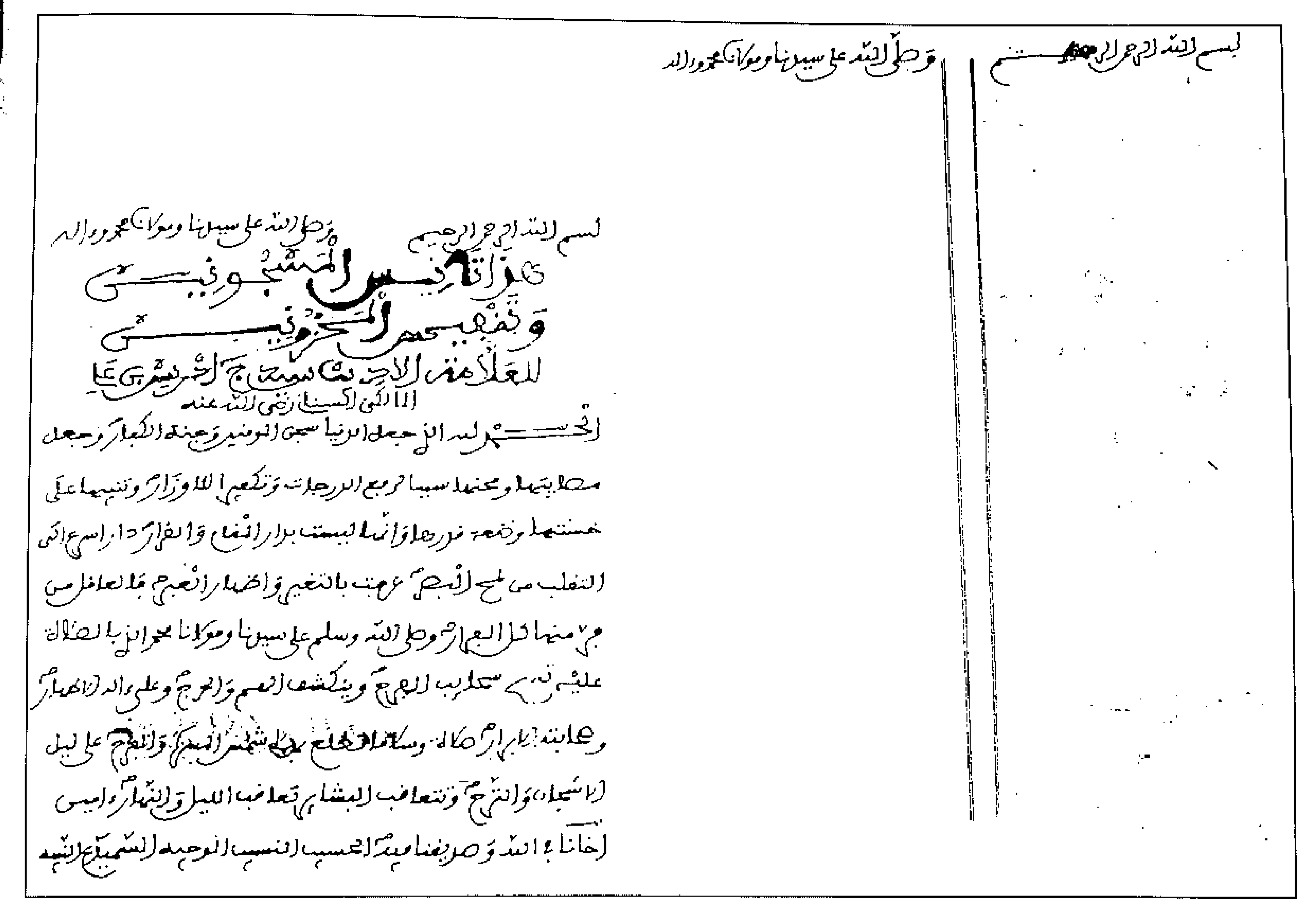
كتب المجموع كله بخط مغربي، ناسخه، كما ورد في نهاية المخطوط، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الكلالي الكردودي، صاحب التقريظ الأول، يتكون المجموع من ١٧ ورقة، يشغل الكتاب المحقق اثنتي عشرة ورقة من ٤-١٥، قياس ١٧×٢١,٥، في كل ورقة ١٦ سطراً، وفي كل سطر حوالي ثماني كلمات. وهي نسخة جيدة، اتبع الناسخ في كتابتها نظام التعقيبة، وهي نسخة منقولة عن نسخة المؤلف، وتاريخ نسخها السادس والعشرون من محرم الحرام سنة ١٣٠٠هـ.

كتب العنوان في أولها وكذا اسم مؤلفها.

عملنا:

- قرأنا الرسالة قراءة متأنية، ثم نسخناها وفقاً للقواعد الإملائية المشرقية المعاصرة.
- رددنا الآيات الواردة في الرسالة إلى سورها ورقمها في السورة.
- خرجنا الأحاديث النبوية من مصادرها الأساسية.
- وثقنا الأخبار الواردة فيها من مصادرها الأصليّة المذكورة في الرسالة، وما لم يذكرها اجتهدنا في توثيقها من المصادر التي ترجمت لأصحاب المحن.
- عرفنا بالأعلام الواردة في الرسالة من كتب التراجم.

نرجو أن يسدد الله خطانا، وأن يجعل عملنا هذا في ميزان أعمالنا يوم العرض، وأن يبعد عنا الزلل في القول والعمل، إنه سميع مجيب، والحمد لله ربّ العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

تأنيس المسجونين وتنفيس المحزونين

راموز الورقة الأولى من المخطوط

راموز الورقة الاخيرة من المخطوط

النص المحقق



وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي جعل الدنيا سجن المؤمنين، وجنة الكفار[1]، وجعل مصائبها ومحنها سببًا لرفع الدرجات، وتكفير الأوزار[2]، وتنبيها على خسّتها، وضعة قدرها، وأنها ليست بدار المقام والقرار، دار أسرع إلى التقلب من لمح البصر، عرفت بالتغير وإظهار العبر، فالعاقل من فرّ منها كلّ الفرار، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد، الذي بالصلاة عليه تسحّ سحائب الفرج، وينكشف الهمّ والحرج، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، صلاة وسلامًا تطلع بهما شمس المسرة والفرج على ليل الأشجان والتّرح، وتتعاقب البشائر تعاقب الليل والنهار، آمين.

أخانا في الله وصديقَنا فيه، الحسيب والنسيب، الوجيه السّمَيدع النبيه، سيدي محمد بن قاسم الصادقي[3] آمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وعلى من انضم إلى سيادتكم، واعتصم بحبل مجادتكم[4]، وبعد،

فالحمد لله على ما دفع، والشكر له جلّ جلاله على ما صنع، ﴿**لله الأمر من قبل ومن بعد**﴾[5]، ﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يُسألون**﴾[6]، ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها**﴾[7]، ﴿**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم**﴾[8] فالله يجعل عاقبة أمرنا خيرًا، ويبدلنا بعد العسر يسرا، إنه جواد كريم.

هذا، ولا خفاء على كريم علمكم، وسليم فهمكم، أنّ الدهر لا يزال يرمي الخواص عن قوس النوائب، ويعكس آمالهم لدى المطالب والمراغب؛ فلطالما شكا فعله الشنيع ذوو الأحساب، وتضرع لعداوته أولو الألباب، مع اعتقادهم أن نسبة الفعل إليه على سبيل المجاز، وإلا فلا تأثير له في الإخلاف والإنجاز.

(١) جاء في الحديث: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) رواه الإمام مسلم في صحيحه: ٣١٩/٩، في الزهد والرقائق، الباب الأول، حديث رقم ٢٩٥٦، والترمذي في صحيحه: ٨١/٧، أبواب الزهد، ما جاء في أن الدنيا سجن المؤمن، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) وذلك لحديث البخاري: ((ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا حزن، حتى الهمُّ يُهمه، إلا كفر الله به سيئاته))، صحيح البخاري: ٢/٤، في المرضى ما جاء في كفارة المريض، وحديث: ((ما من مسلم يشاك شوكه فما فوقها إلا كتب الله له بها درجة، ومحيت عنه خطيئته)) البخاري: ١٢/٤، في المرضى ما جاء في كفارة المريض.

(٣) لم نجد من ترجم له. لكن يبدو من الرسالة أنه تعرض لمحنة السجن، فكتب المؤلف هذه الرسالة؛ ليخفف عنه ويسليه، ويثبت فؤاده.

(٤) المجادة: الشرف الرفيع. القاموس المحيط: مجد.

(٥) الروم: ٤.

(٦) الأنبياء: ٢٣.

(٧) الحديد: ٢٢.

(٨) التغابن: ١١.

هذا وقد ملئت بأخبار جوره الدفاتر، وتسابقت في مضمار أهاجيه الشعراء الأكابر، قال بعضهم[9]:

{الكامل}

يا دهـــرُ صافيــتَ اللئـــامَ ولـم تَــزَلْ	أبـــدًا لأبنـــاءِ الكـــرامِ مُعَانـــدا
وعرَّجـــتَ كالمـــيزانِ ترفـــعُ ناقصًـــا	أبـــدًا وتخفـــضُ لا محـــالةَ زائـــدا[10]

غيره لابن الرومي[11]: {الوافر}

رأيـــتُ الدهـــرَ يرفـــعُ كـــلَّ وغْـــدٍ	و يخفضُ كـــلَّ ذي شـــيمٍ شريفـــة
كمثـــل البحـــر يُغـــرقُ كـــلَّ حـــي	و لا ينفـــكُّ تطفُـــو فيـــه جيفـــة
أو المـــيزانِ يخفـضُ كـــلَّ واف	و يرفـــعُ كـــلَّ ذي زِنـــة خفيفـــه[12]

غيره [13]: {الخفيف}

قـــلْ لدهـــرٍ مـــن المكـــارمِ عطـــل	يـــا فسيـــحَ الفعـــالِ جهـــمَ المحـــيَا
كـــم رفـــيعٍ حطتـــهُ فـــي حضيـضٍ	ووضـــيعٍ ألحقتـــهُ بالثُّريـــا[14]

إلى غير هذا من الأشعار والأبيات الواردة في هجوه وعتابه من النبلاء والسادات.

سيدي، لو أخذت في تعداد أسامي من فوّق إليهم الدهر سهمَ الحيف والجور، واستمرَّ يشنّ عليهم غارته بالنجد والغور من الأشراف والأعيان، المشهود لهم بالمزية والشأن لنفد المداد وفنيت الأقلام دون إحصاء العدد وبلوغ التمام، ولمّا كان ما لا يدرك كلّه لا يترك بعضه، أخذت في ذكر شيء من أخبارهم، ونزر يسير من آثارهم، تبركًا بذكر أولئك الساده، واستجلابًا للتسلي، وتماما للإفادة، وتأخذ الإشارة، فرّج الله عنك، وكمّل مرادك، من قوله جلّ وعلا: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[15].

---

(٩) هو السري الرفاء، السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن، شاعر أديب، من أهل الموصل، قصد سيف الدولة بحلب، فمدحه، وأقام عنده مدة، توفي ببغداد سنة ٣٦٦هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢٠١/١، يتمية الدهر: ٤٥٠/١-٥٣٠، الأعلام: ٨١/٣.

(١٠) البيتان في ديوانه: ٩٧، وجاءا فيه بلفظ:

يا دهرُ صافيتَ اللئامَ مساعدًا	لـهم وجانبت الكرامِ مُعَانِدا
فغدوت كالميزانِ يرفع ناقصًا	فينا وتخفضُ لا محالةَ زائدا

(١١) علي بن العباس بن جريج، الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير من شعراء العصر العباسي، من طبقة بشار والمتنبي، مات في بغداد مسمومًا، قيل دسّ له السّم القاسم بن عبيد الله، وزير المعتضد. (ت٢٨٣هـ)، ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣٥٠/١، معجم الشعراء: ٤٤٨، ٢٨٩، ٢٤٨، ٢٨٩.

(١٢) البيتان في ديوانه: ١٥٩٢/٤، من قصيدة قالها في ذم الزمان، وهما في مجموعة المعاني: ١٠٣.

(١٣) لم نهتد إليه.

(١٤) لم نجد الأبيات فيما رجعنا إليه من مصادر.

(١٥) هود: ١٢٠.

فممن شرب من كأس هموم الزمن، وسجن، فكابد أنواع المحن، ابن شهيد كربلاء[١٦]، وسبط سيّد أهل الأرض والسماء، مولانا عليّ بن سيدنا الحسين بن مولانا عليّ، كرّم الله وجهه، الملقب بزين العابدين[١٧]، سجنه عبد الملك بن مروان[١٨]، وحَمله من المدينة مقيداً مغلولاً في ثقل قيود وأغلال[١٩]. ولمّا دخل عليه الزهري[٢٠] يودّعه بكى، وقال له: وددت أني مكانك. فقال زين العابدين: تظنُّ أنّ ذلك يكربني، ولو شئتُ لما كان، وإنه ليذكرني عذاب الله، ثم أخرج يديه ورجليه من القيد، ثم أعادها[٢١]. «كان رضي الله عنه يصلي في اليوم ألف ركعة»[٢٢]، وكان نقش خاتمه: «وما توفيقي إلا بالله»[٢٣]، «وكان رضي الله عنه يقول: جلست مرة متّكئًا على حائط وأنا حزين مفكر، إذ دخل عليّ رجل حسن الثياب، طيب الرائحة، ثم نظر في وجهي، وقال: ياعليّ بن الحسين، أراك كئيبًا حزينًا على الدنيا، فهو رزق حاضر، يأكل منه {البرُّ}[٢٤] والفاجر، فقلت: ما عليها أحزن، وإنه كما تقول، فقال: {فعلام}[٢٥] حزنك؟ قلت: أتخوف من فتنة ابن الزبير[٢٦]، قال: فضحك، ثمَّ قال: يا عليّ، هل رأيت أحدًا خاف الله فلم يُنجه؟ قلت: لا، قال يا عليّ، هل رأيت أحدًا سأل الله فلم يُعطه؟ قلت:لا، ثمَّ نظرت، فإذا ليس قدامي أحد، فتعجبت من ذلك، فإذا أنا بقائل أسمع صوته، ولا أرى شخصه، يقول: ياعليَّ بن الحسين، هذا الخضر ناجاك»[٢٧].

وسجن سيدنا موسى الكاظم بن سيدنا جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر بن زيد العابدين [٢٨]،

---

(١٦) هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء، استشهد في كربلاء سنة ٦١هـ. ترجمته في: تاريخ الطبري: ٢١٥/٦، صفة الصفوة: ٣٢١/١، الأعلام: ٢٤٣/٢.

(١٧) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، القرشي، أبو الحسن، زين العابدين، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، (ت٩٤هـ)، ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣٢٠/١، الكواكب الدرية: ٣٧٢/١، الأعلام: ٢٧٧/٤.

(١٨) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد، من خلفاء بني أمية، (ت٨٦هـ). ترجمته في: تاريخ الطبري: ٥٦/٨، تاريخ بغداد: ٣٨٨/١٠، الأعلام: ١٦٥/٤.

(١٩) ينظر إسعاف الراغبين: ٢٢١.

(٢٠) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، (ت١٢٤هـ)، ترجمته في: وفيات الأعيان: ٤٥١/١، صفة الصفوة: ٧٧/٢، الأعلام: ٩٧/٧.

(٢١) ينظر إسعاف الراغبين: ٢٢١-٢٢٢.

(٢٢) نور الأبصار: ١٣٩، إسعاف الراغبين: ٢٢٠، الكواكب الدرية في تراجم الصوفية: ق٢/ج١/٣٧٣، الفصول المهمة: ١٩٠.

(٢٣) نور الأبصار: ١٣٩، الفصول المهمة: ١٨٩.

(٢٤) في الأصل: البار، وكذا في نور الأبصار: ١٤٢، والمثبت من الفصول المهمة: ١٩١.

(٢٥) في الأصل: فعلى ماذا، والمثبت من نور الأبصار: ١٤٢.

(٢٦) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبوبكر. بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، بعد وفاة يزيد بن معاوية، سيّر إليه عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف، وقاتله إلى أن قضى عليه سنة٧٣هـ. ترجمته في: فوات الوفيات: ٢١٠/١، تاريخ الطبري: ٢٠٢/٧، الأعلام: ٨٧/٤.

(٢٧) نور الأبصار: ١٤٢، نقلاً عن كتاب الفصول المهمة: ١٩١.

(٢٨) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من سادات بني هاشم، حبسه الرشيد عند والي البصرة سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد، فتوفي فيها سجينًا، وقيل: قتل(سنة ١٨٣هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٣١/٢، صفة الصفوة: ١٠٣/١، الأعلام: ٣٢١/٨.

رضي الله عنهم أجمعين، حبسه الرشيد[٢٩] بسجن البصرة سنة، وبعد السنة كتب إلى عامله على البصرة عيسى بن جعفر بن المنصور[٣٠] في سفك دمه، وإراحته منه، فعظمت عليه حرمته، واستعظم دمه، فراجع الرشيد فيه، وكتب إليه يقول: «يا أمير المؤمنين، كتبت إليَّ في هذا الرجل، وقد اختبرته طول مقامه في حبسي، فلم يكن منه سوء قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلاّ بخير، ولم يكن عنده تطلع للولاية، ولا خروج، ولا شيء من أمر الدنيا، ولا دعا قط على أمير المؤمنين، ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلا بالمغفرة لجميع المسلمين، مع ملازمته للصلاة والصيام والعبادة. فإذا رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره، ويأمر بتسلمه مني، وإلا سرحت سبيله، فإني منه في غاية الحرج».

فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى، كتب إلى السندي بن شاهك[٣١] أن يتسلم موسى الكاظم من عيسى، وأمره فيه بأمره، فكان الذي تولى به السندي، فقتله[٣٢].

وكان رضي الله عنه بعث إلى الرشيد من السجن برسالة، كتب فيها أنه لم ينقض[٣٣] عني يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك[٣٤] من الرخاء حتى نمضي[٣٥] جميعًا إلى يوم ليس له انقضاء، هنالك يخسر المبطلون[٣٦]. وكان نقش خاتمة رضي الله عنه: الملك لله وحده[٣٧].

وسجن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم[٣٨] رضي الله عنهم جميعًا، حبسه المعتمد على الله[٣٩] بن المتوكل[٤٠]، ثم سرحه بعد مدة لكرامة ظهرت له، وبقي مكرّمًا عنده إلى أن توفي.

---

(٢٩) هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية، (ت١٩٢هـ). ترجمته في: تاريخ الطبري: ٤٧/١٠، تاريخ بغداد: ٥/١٤، الأعلام: ٦٢/٨.

(٣٠) عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي، ابن عم الخليفة هارون، قائد من أمراء بني العباس. (ت١٨٥هـ). ترجمته في: تحفة الأعيان: ٨٩/١، الأعلام: ١٠٢/٥.

(٣١) لم نجد من ترجم له.

(٣١) نور الأبصار: ١٥١-١٥٢، الفصول المهمة: ٢٢٨-٢٢٩.

(٣٣) في صفة الصفوة: لن ينقضي.

(٣٤) في صفة الصفوة: إلا انقضى عنك معه يوم، وفي الفصول المهمة: إلا انقضى معه عنك يوم الرخاء.

(٣٥) في صفة الصفوة: نفضي.

(٣٦) في صفة الصفوة: ٤٠١، الفصول المهمة: ٢٣٠، نقلاً عن صفة الصفوة.

(٣٧) ينظر نور الأبصار: ١٤٨، الفصول المهمة: ٢٢٢.

(٣٨) الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الحسيني الهاشمي، أبو محمد، الإمام الحادي عشر عند الإمامية. (ت ٣٠٤هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٣٥/١، نور الأبصار: ١٥٩، الأعلام: ٢٠٠/٢.

(٣٩) أحمد بن جعفر بن المعتصم، المعتمد على الله، أبو العباس، خليفة عباسي، طالت أيام ملكه، وكانت مضطربة، كثيرة العزل والتولية، (ت٢٧٩هـ). ترجمته في: تاريخ الطبري: ٢١٤/١١-٣٤١، تاريخ بغداد: ٦٠/٤، الأعلام: ١٠٦/١.

(٤٠) جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، أبو الفضل، خليفة عباسي، بويع بعد أخيه الواثق، كتب إلى أهل بغداد لما استخلف بترك الجدل في القرآن. (ت٢٤٧هـ). ترجمته في: تاريخ الطبري: ٢٦/١١، مروج الذهب: ٢٨٨/٢، الأعلام: ١٢٧/٢.

ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سرّ من رأى بعده، وقامت صيحة عظيمة [٤١]، وعطلت الأسواق، وغلقت الدكاكين، وركبت بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس بجنازته، فكانت سرّ من رأى، البلدة المتقدمة الذكر يومئذ شبيهة بالقيامة[٤٢]، رحمه الله ورضي عنه. وكان نقش خاتمه: سبحان من له مقاليد السموات والأرض[٤٣].

ومن كلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها»[٤٤].

وسجن الإمامُ الأعظم أبو حنيفة[٤٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حبسه أبو جعفر المنصور[٤٦]بعدما نقله من الكوفة إلى بغداد، وعرض عليه القضاء بها، فامتنع، فضرب مئة سوط، وتركه بالسجن إلى أن توفي رحمه الله [٤٧].

قرأ ليلة قوله تعالى ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٤٨]، فلم يزل يرددها ويبكي ويتضرع إلى أن طلع الفجر[٤٩]. وقرأ مرة بعد صلاة العشاء قوله تعالى: **﴿ووقانا عذاب السموم﴾**[٥٠]. فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر[٥١].

وسمع قارئًا يقرأ ليلة في المسجد: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[٥٢] فلم يزل قابضًا على لحيته إلى الفجر، ويقول: يجزي بمثقال ذرة[٥٣]. رحمه الله.

تأنيس المسجونين وتنفيس المحزونين

---

(٤١) في الأصل عظيمة، وفي نور الأبصار: واحدة، وكذا في الفصول المهمَّة.

(٤٢) نور الأبصار: ١٦٨، نقلاً عن كتاب الفصول المهمَّة: ٢٧٨.

(٤٣) نور الأبصار: ١٦٦، نقلاً عن كتاب الفصول المهمَّة: ٢٧٤.

(٤٤) نور الأبصار: ١٦٨، نقلاً عن كتاب الفصول المهمَّة: ٢٧٤.

(٤٥) النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، إمام الحنيفة، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنَّة، حبسه المنصور العباسي إلى أن مات سنة ١٥٠هـ. ترجمته في: تاريخ بغداد: ١٣/٣٢٣-٤٢٣، مفتاح السعادة: ٢/٦٣-٨٣، الأعلام: ٨/٣٦.

(٤٦) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب.(ت ١٥٨هـ). ترجمته في: تاريخ الطبري: ٩/٢٩٢-٣٢٢، فوات الوفيات: ١/٢٣٢، الأعلام: ٤/١٧.

(٤٧) ينظر في قصة سجنه: الكواكب الدرية: ج١/ق٢/٤٧٠، لواقح الأنوار: ١/٥٣، نور الأبصار: ٢٠٥، نقلاً عن اليافعي في تاريخه..

(٤٨) القمر: ٤٦.

(٤٩) نور الأبصار: ٢٠٨، عن محمد بن الحسن قال حدثني القاسم بن معن... الخبر.

(٥٠) الطور: ٢٧.

(٥١) نور الأبصار: ٢٠٨، والخبر فيه عن أبي زائدة، قال: صليت العشاء الآخره مع أبي حنيفة، وخرج الناس وأنا في المسجد أريد أن أسأله عن مسألة، وهو لا يعلم أني في المسجد، فقرأ حتى بلغ إلى قولـه: : **﴿ووقانا عذاب السموم﴾**.

(٥٢) سورة الزلزلة: ١، والمقصود أن كان يقرأ السورة كلَّها.

(٥٣) نور الأبصار: ٢٠٨.

وسجن الإمام أحمد بن حنبل[٥٤] رضي الله عنه، على القول بخلق القرآن[٥٥]، حبسه الـواثق[٥٦] أكثر من سنتين، بعد أن ضُرب بالسياط ضربًا شديدًا. ولما سجنوه وضعوا في رجليه أربعة قيود[٥٧]. وعندما قدّم للضرب أيام المحنة أغاثه الله برجل يقال له أبو الهيثم العيَّار، وقف عنده، وقال: يا أحمد، أنا فلان اللص، ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقرَّ، فما أقررت، وأنا أعرف أني على الباطل، احذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط، فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص، وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه[٥٨].

وكان رضي الله عنه لا يدع قيام الليل قط، وله في كلّ ليلة ختمة، وكان يُسرُّ ذلك عن الناس[٥٩]، وفضله يجلّ عن الحصر؛ إذ هو أوضح من النهار بكل قطر ومصر.

جاءه السجّان يومًا، فقال له: يا أبا عبد الله، الحديث الذي يروى في الظلمة وأعوانهم صحيح[٦٠]، قال: صحيح، قـال السجّان: أفأنا من أعوان الظلمة؟ قال: لا، قال: وكيف ذلك ؟ قال: لأنّ أعوان الظلمة الذي يأخذ شعرك، ويغسل ثوبك، ويصلح طعامك، وأما أنت فمن الظلمة[٦١].هـ. (مختصرًا مع ما قبله من مشارق الأنوار[٦٢] ومن كتاب نور الأبصار)[٦٣].

---

(٥٤) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، سجنه المعتصم بالله، ثم أطلقه، ترجمته في: حلية الأولياء: ٩/١٦١، الأعلام: ٩/١٦١.

(٥٥) قضية خلق القرآن: بدأت بوادرها في زمن الخليفة العباسي المأمون، حيث خالطه قوم من المعتزلة، فحسنوا له القول بخلق القرآن، ولعلَّ اليهود كانوا خلف هذه القضية، والقضية أن القرآن مخلوق، وهذا يعني في نظرنا، أو نستشف منه، أن كل مخلوق له نهاية، ونهايته الموت، وبذلك يرون أن القرآن لم يعد يصلح؛ لأنه قارب نهاية الحياة: أي الموت. وقد امتحن كثيرون، وعذّبوا لرفضهم هذه الفكرة، وعدم إيمانهم بها، ودفاعهم المستميت في وجه من يقول بها، ومن هؤلاء الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. وللاستزاده والتفصيل ينظر كتاب: محنة الإمام أحمد، للجماعيلي، عبد الغني المقدسي، وكتاب: ابن حنبل، لمحمد أبو زهرة.

(٥٦) هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد، العباسي، أبو جعفر، الواثق بالله، من خلفاء الدولة العباسية، امتحنَ الناس في قضية خلق القرآن، فأفسد قلوبهم (ت٢٣٢هـ). ترجمته في: تاريخ الطبري: ١١/٢٤، تاريخ بغداد: ١٤/١٥، الأعلام: ٨/٦٣.

(٥٧) لواقح الأنوار: ١/٥٥، نور الأبصار: ٢٦٦.

(٥٨) لواقح الأنوار: ١/٥٥، صفة الصفوة: ١/٤٨٥، نور الأبصار: ٢٢٥.

(٥٩) لواقح الأنوار: ١/٥٤.

(٦٠) يعني الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: أنّ النبي ﷺ قال لكعب بن عُجرة: (أعاذك الله من إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون من بعدي، لايهتدون بهديي، ولا يستنّون بسنتي، فمن صدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني، وأنا منه)، زاد في رواية أخرى: (ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يُعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه).

(٦١) نور الأبصار: ٢٢٧.

(٦١) مشارق الأنوار: لعله يقصد لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للشعراني، حيث ورد في الكشف: ٢/١٦٨٧، عنوان مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية. والعنوان الأول (لواقح)، مطبوع، والحديث ورد فيه: ٧٩٤، وللشعراني أيضًا كتاب لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية. الكشف: ٢/١٢٣٨.

(٦٣) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، لمؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (ت بعد ١٣٠٨هـ). وهو مطبوع في مصر. نشر عبد الحميد أحمد حنفي.

وحمل سيدي ذو النون المصري[٦٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من مصر في الحديد إلى بغداد بعد أن شُهد فيه بالكفر والزندقة، فلما دخل على المتوكل[٦٥] قال له: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة، فسكت، فقال وزيره: هو حقيق عندي بما قيل فيه، ثم قال له: لم لا تتكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن قلت لا كذّبت المسلمين، وإن قلت نعم كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله مني، فافعل أنت ما ترى، فإني غير منتصر لنفسي، فقال المتوكل: هو رجل بريء مما قيل فيه، ثمّ خلّى سبيله[٦٦].

كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «يقول: مررت ذات يوم على دار من دور مصر، فرأيت مكتوبًا على بابها سطرًا بالعبرانية، فإذا هو: «يقدر المقدرون، والقدر يضحك».

ولمّا توفي بالجيزة حمل في قارب مخافة أن تنقطع الجسر من كثرة الناس مع جنازته، ورأى الناسُ طيورًا خضرًا ترفرف على جنازته، حتى وصلت إلى قبره، نفعنا الله به[٦٧].

وسجن الولي الصالح الزاهد العابد الناصح سيدي علي بن حرزهم العثماني[٦٨]، دفين خارج باب الفتوح، أحد أبواب فاس. حبسه ولي البلد، وقد وشى به بعض الحسدة، ولما دخل السجن جعل يقسم بالله على أنه لا يبيت به تلك الليلة، فكان الأمر كما قال. ولما خرجَ سُئِل عن سبب قسمه، فقال: رآني ولي الله سيدي أبو يَعِزَّي[٦٩] حال الذهاب بي إلى السجن، فعلمت أنه لا يغفل عني[٧٠].

تأنيس المسجونين وتنفيس المحزونين

(٦٤) ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو الفياض، أو أبو الفيض، أحد الزهاد العباد، المشهورين من أهل مصر، نوبي الأصل من الموالي، اتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه، وسمع كلامه، ثم أطلقه (ت٢٤٥هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: ١٠١/١، ولواقح الأنوار: ٧٠/١، الأعلام: ١٠٢/٢.

(٦٥) جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، أبو الفضل، خليفة عباسي، لما استخلف كتب إلى أهل بغداد كتابًا بترك الجدل في القرآن. اغتيل في سامراء ليلاً بإغراء ابنه المنتصر(ت٢٤٧هـ). ترجمته في: تاريخ الطبري: ٢٦/١، مروج الذهب: ٢٨٨/٢، الأعلام: ١٢٧/٢..

(٦٦) خبرة في لواقح الأنوار: ٧٢/١، وجاء فيه على لسانه: لما حملت من مصر في الحديد إلى بغداد لقيتني امرأة زمنة، فقالت: إذا دخلت على المتوكل فلا تهبه، ولا تر أنه فوقك، ولا تحتج لنفسك محقًّا كنت أو متّهمًا؛ لأنك إن هبته سلطه الله عليك، وإن كنت بريئًا فادع الله تعالى أن ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك، فيكلك إليها، فقلت لها: سمعًا وطاعة، فلما دخلت على المتوكل، سلمت عليه بالخلافة، فقال لي: ما تقول... الخبر..

(٦٧) لواقح الأنوار: ٧٠/١.

(٦٨) علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، من أهل فاس، كان فقيهًا، زاهدًا متصوفًا. توفي في فاس سنة ٥٥٩هـ. ترجمته في: التشوف إلى رجال التصوف: ١٤٧، سلوة الأنفاس: ٧١/٣، نيل الابتهاج: ١٨٢.

(٦٩) يلنور بن عبد الرحمن بن ميمون الدُّكالي المغربي، عارف، شرفه معروف مرتفع (ت٥٧٢هـ). ترجمته في التشوف إلى رجال التصوف: ١٩٥، وطبقات الشعراني: ١٣٦/١، وفي الأعلام جاء أسمه يلنور بن ميمون بن عبد الله، أعلام: ٢٠٨/٨

(٧٠) الخبر في التشوف: ١٥١.

وشُهد في تلميذه سيدي أبي مدين الغوث [٧١] بالزندقة، وأخرجه أهل بجاية[٧٢] منها[٧٣].

نقل القطب الشعراني[٧٤] رضي الله عنه في طبقاته[٧٥]:

«أن الشيخ الحاتمي[٧٦] رضي الله عنه قال: ذهبت أنا وبعض الأبدال إلى جبل قاف[٧٧]، فمررنا بالحيّة المحدِّقة به، فقال لي البدل: سلّم عليها، فإنها سترد عليك السلام، فسلمنا عليها، فردت، ثم قالت: من أي البلاد؟ فقلنا: من بجاية، فقالت: ما حال أبي مدين مع أهلها؟ فقلنا لها: يرمونه بالزندقة، فقالت: عجبًا والله لابن آدم، ما كنت أظن أن الله عز وجل يوالي عبدًا من عبيده بمكرهة أحد. فقلنا لها: ومن أعلمك به، فقالت: يا سبحان الله، وهل على الأرض دابّة تجهله، إنه والله ممن اتخذه الله وليًّا، وأنزل محبته في قلوب العباد، فلا يكرهه إلا كافر، أو منافق[٧٨].

وسجن الفقيه ابن تيمية[٧٩]، صاحب التّآليف العجيبة، والتصانيف الغريبة، حبسه أمير عصره[٨٠]، بإشارة علماء مصره، حسدًا له، وذلك لما شاع ذكره في الأمصار، وطار صيته كل المطار، ولم يزل محبوسًا إلى أن توفي بمعتقله، ولمّا شاع خبر وفاته حضر جنازته الخاص والعام، وكثر عليه البكاء من الناس والازدحام[٨١]، رحمة الله عليه.

---

(٧١) شعيب بن الحسن الأندلسي، التلمساني، أبو مدين، صوفي، من مشاهيرهم، أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن بجاية، وكثر أتباعه، حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. (ت٥٩٤هـ). ترجمته في: شذرات الذهب: ٣٠٣/٤، البستان: ١٠٨، الأعلام: ١٦٦/٣هـ.

(٧٢) مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. معجم البلدان: ٣٣٨/١.

(٧٣) البستان: ١٠٨.

(٧٤) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي، المصري، من علماء المتصوفين(ت٩٧٣). ترجمته في: شذرات الذهب: ٣٧٢/٨، أعلام: ١٨١/٤.

(٧٥) الطبقات الكبرى، المسمى بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، طبع في بيروت، وصدر عن دار الجيل، سنة ١٩٨٨م.

(٧٦) ابن عربي، محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، محيي الدين، من أئمة المتكلمين في كل علم، حبس في مصر، ثم استقر في دمشق.(٦٣٨هـ). ترجمته في: فوات الوفيات: ٢٤١/٢، مفتاح السعادة: ١٨٧/١، الأعلام: ٢٨٢/٦.

(٧٧) جبل قاف: قيل هو الجبل المحيط بالأرض، وقالوا: أصول الجبال كلها من عرق جبل قاف. معجم البلدان: ٢٩٨/٤.

(٧٨) لواقح الأنوار: ١٥٥/١، الكواكب الدرية: ٢٣٩/٢.

(٧٩) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني الدمشقي، الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتُهر. مات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. ترجمته في: فوات الوفيات: ٣٥/١-٤٥، الدرر الكامنة: ١٤٤/١، الأعلام: ١٤٤/١.

(٨٠) الظاهر بيبرس الجاشنكير العلائي البند قداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر، له وقائع مع التتار والصليبيين، توفي بدمشق سنة ٦٧٦هـ.ترجمته في: النجوم الزاهرة: ٩٤/٧.

(٨١) قصة سجن ابن تيمية وردت في الدرر الكامنة: ١٤٤/١-١٥٠، حيث ورد فيه أنه سجن في مصر، سجنه بيبرس الجاشنكير، كما سجن في دمشق.

وسجن من الملوك الذين تصرفوا في البلاد والعباد، وضحكت لهم الدنيا بمباسم الإسعاد، المعتمد على الله محمد بن عباد[٨٢]، فأصبح مقيدًا أسيرًا، بعد ما كان ملكًا أميرًا، ثم حمل من الجزيرة مع أهله على حال أسره وذله، وبقي بسجن أغمات[٨٣]، يكابد أنواع الهموم والكربات، إلى أن أتاه هازم اللذات.

ومن شعره وهو يقاسي ألم الكبل ومحنة أسره: {المتقارب}

تبــدَّلتُ مـن عـزِّ ظــلِّ البـــنود ... بــذُلِّ الحـــديد وثــقل القـــيود

وكــان حَديـــدي سِنـــانًا ذليـــقًا ... وعضْبًا رقـــيقًا صقـــيلَ الحـــديد

فقـــد صـــارَ ذاك وذا أدهـــما ... يَــعضّ بســاقَيَّ عــضَّ الأســود[٨٤]

قال الفتح[٨٥] في قلائده[٨٦]: «وأول عيد أخذه بأغمات وهو سارح، وما غير الشجون له مسارح، ولا زيّ إلا حالة الخمول، واستحالة المأمول، فدخل عليه من بنيه من يُسلّم عليه ويهنيه، وفيهم بناته، وعليهنّ أطمار كأنها كسوف وهنّ أقمار، يبكين عند التسايل، ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع، قد غيّر صورهن، وحيَّر نظرهن، وأقدامهن حافية، وآثار نعيمهن عافية، فقال[٨٧]: {البسيط}

فيـما مضى كـنتَ بالأعـيادِ مســرورا ... فســاءك العــيدُ في أغمـــاتَ مأسُورا

تــرى بناتِــكَ في الأطمــار جائعـــة ... يَغــزلن للــنّاس ما يملـكن قطمــيرا

بـرزن نحـــوك للتّسلـــيم خاشـــعة ... أبصـــارهنّ حســـيراتٍ مكـــاسـيرا

يطأن فـــي الطـــين والأقـــدام حـــافية ... كأنــها لــم تطــأ مســكاً وكـــافورا

لا خدّ إلا تشـــك الجـــدبَ ظـــاهرُه ... ولـــيس إلا مــع الأنــفاس معــطورا

أفطـرت فـي العيـد لا عـادت إســاءتُه ... فكـــان فـــطرك للأكـــباد تَفـــطيرا

(٨٢) محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم، المعتمد على الله، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولها. قضى يوسف بن تاشفين على ملكه، وأخذ إلى أغمات، حيث سجنه فيها، وبقي فيها إلى أن مات سنة ٤٨٨هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢/٢٧-٣٥، مطمح الأنفس: ١١-٢٢، نفح الطيب: ٢/١١١٩، الأعلام: ٦/١٨١.

(٨٣) أغمات: مدينة من بلاد البربر بالمغرب الأقصى من قطر مراكش، بلاد اللمتونيين، معجم البلدان: ١/٢٢٤.

(٨٤) الأبيات في ديوانه: ٩٤، وشذرات الذهب: ٣/٣٨٨، وابن خلكان: ٢/٤٥، وقلائد العقيان: ٦٧، وجاءت فيه كلمة الحديد آخر البيت الثاني الحدود.

(٨٥) الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي، ابن خاقان، أبو نصر، كاتب مؤرخ من أهل إشبيلية، مات ذبيحًا بمدينة مراكش في الفندق، أوعز بقتله علي بن يوسف بن تاشفين. ترجمته في: نفح الطيب: ٤/٦١٨، وفيات الأعيان: ١/٤٠٧، شذرات الذهب: ٤/١٠٧، الأعلام: ٤/١٣٤.

(٨٦) أي كتابه قلائد العقيان.

(٨٧) أي المعتمد بن عباد.

قـد كـان دهـرك إن تأمـره ممتـــثلا … فـردّك الدهـر منهـيًا ومأمـورا
من بـات بعـدك في ملـكٍ يسـرّ بـه … فإنمـا بـات بالأحـلام مـغرورا»[88]

انتهى.

ومن أراد استيفاء خبره، والاطلاع على نكبته وأثره، فليطالع ترجمته من القلائد[89]؛ ليعلم كم أتت عليه بعد السرور من الشدائد. لكن يوم البعث والفصل يَنتصف من الظالم للمظلوم الحكمُ العدل، يوم يحشر الناس ويُسألون عن النقير والقطمير والفتيل والأنفاس، فهناك يعلم المتقون ويخسر الظالمون، قال الله العظيم: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[90]، فيومئذ يؤتى بالوالي ويداه مغلولتان إلى عنقه، لا يفكهما إلا عدله، فتُعرض عليه أعماله، عدلا، وجورًا، ووزرًا، وأجورًا، فيقول: يا ليتني لم أكن قضيت بين اثنين، ولم أكن سجنت خلقًا، ولو عصفورًا، فيا ندامته لو كانت تنفع الندامة، نسأل الله تعالى السلامة.

وسجن الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب المخزومي الأندلسي الكاتب[91]، ولماطال حبسه، وانقبضت لكلام الشامتين نفسه، قال متسليًا عن مصابه، ومنبّهًا على رفعة قدره وجنابه، ومعتذرًا عن ظهور مشيبه في حال شبابه بقـوله[92]: {البسيط}

لم يطـو بـرد شـبابي كـبرة وأرى … بَـرقَ المشـيب اعتلى في عارض الشَّعر
قبل الثلاثينَ إذ عـهد الصـبا كـثب … وللشـيبةِ غصنٌ غـيرُ مهـتصَر
لا يُهـنئَ الشـامتَ المـرتاحَ خـاطرُه … أنّـي مُعَـنّى الأمـاني ضـائعُ الخَـطَر
هـل الريـاحُ بنـجمِ الأرض عاصِـفة … أم الكسوفُ لغـير الشـمسِ والقَـمَر
إن طـالَ فـي السجن إيداعي فلا عـجب … قـد يـودعُ الجفنَ حـدُّ الصَّارمِ الذكرِ[93].

فما ألطف شعره هذا، رحمه الله.

---

(٨٨) الخبر والأبيات في قلائد العقيان: ٧٢-٧٣، والأبيات في ديوانه: ١٠٠، ووفيات الأعيان: ٤٢٠/٢، ونفح الطيب: ١١٣٥، وشذرات الذهب: ٣٨٨/٣.

(٨٩) ينظر قلائد العقيان: ٧٢-٧٣.

(٩٠) البقرة: ٢٨١.

(٩١) ابن زيدون، أبو الوليد، أحمد بن عبد الله بن أحمد المخزومي، وزير كاتب شاعر، من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور، لكنه حبسه فيما بعد (ت٤٦٣هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: ٤٣/١، قلائد العقيان: ١٧٥، الأعلام: ١٥٨/١.

(٩٢) الأبيات الآتية من قصيدة بعث بها من سجنه إلى أبي الحزم ابن جهور مادحًا إياه ومستعطفًا. وقصة سجنه مشهورة، واستعطافه ابن جهور كثير في أشعاره وفي نثره، واشتهر من نثره رسالتاه؛ الجدّية، والهزلية.

(٩٣) الأبيات في ديوانه: ١٤٨.

وسجن الشيخ الإمام، عالم الأدباء، وأديب العلماء، قاضي الجماعة بفاس، أبو الحسن علي بن الشيخ الفقيه النحوي أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي[٩٤]، أحد شيوخ اليوسي[٩٥]، وأبي العباس أحمد المدعو حمدون المزوار[٩٦]، سجنه السلطان زيدان بن أحمد المنصور الذهبي[٩٧]، ثم قتله مسموماً بجامع المشور، لأمر بلغه عنه في مهل ربيع الثاني عام ثمانية عشر وألف. وعند الله تجتمع الخصوم ويؤخذ من الظالم حق المظلوم.

وفي أيام سجنه كتب إليه الأديب الكاتب أبو عبد الله المكلاتي[٩٨] أبياتًا وهي: {الطويل}

ألا لهلال غاب عنا سفور ... فيُجلى به خطب وجاه يثور

بصبر الدهر راح يمنحك الأسى ... فأنت عظيم والعظيم صبور

سيظهر ما عهدته من جمالكم ... فللبدر من بعد الكسوف ظهور

وتحيا رسوم للمقام تغيرت ... فللميت من بعد الممات نشور

أبا حسن إني على الحب لم أزل ... مقيمًا عليه ما أقام ثبير

ففي فيَّ ماء من بقايا ودادكم ... فطعمه عندي سائغ ونمير

عليكم سلام الله ما هطل الحيا ... وغنَّت بأغصان الرياض طيور[٩٩]

قال منشدها: أنشدتها له بمحبسه، فبكى، حتى ظننت أنه سيهلك، ثم أفاق وتلا: **﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾**[١٠٠]، فراجعني بأبيات وهي: {الطويل}

تفتق عن زهر الربيع سطور ... فما هي إلا روضة وغدير

هزمت من الصدر الجريح همومه ... فأنت على جند الكلام أمير

---

(٩٤) لم نجد من ترجم له، ولوالده عبد الرحمن بن محمد (-١١١٨هـ)، ترجمة في: سلوة الأنفاس: ٣٧٢/١، واليواقيت الثمينة: ١٩٦/١، معجم المؤلفين: ١٧٧/٥.

(٩٥) الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين، فقيه مالكي أديب، تعلّم بالزاوية الدلائية، أخذ عن علماء سجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ودكالة، واستقر بفاس مدرسًا، له كتب منها حاشية على شرح السنوسي على العقيدة الصغرى. (ت١١٠٢هـ). ترجمته في: صفوة من انتشر: ٢٠٦-٢١٠، شجرة النور: ٣٢٨، الأعلام: ٢٢٣/٢..

(٩٦) أحمد بن محمد المزوار الفاسي الزجني، من علماء فاس وفضلائها، ت١٠٨٤هـ. ترجمته في: اليواقيت الثمينة: ٣٥.

(٩٧) زيدان بن أحمد، أبو المعالي، السلطان المنصور ابن محمد الشيخ، من ملوك دولة الأشراف السعديين بمراكش، بويع بعد وفاة أبيه بفاس(ت١٠٣٧هـ) ترجمته في: الاستقصا: ٩٨/٣-١٢٩، اتحاف أعلام الناس: ٦٧/٣، الأعلام: ٦٢/٣.

(٩٨) محمد بن أحمد بن محمد المكلاتي الأكبر، أبو عبد الله، فقيه أديب، ناظم ناثر، ت(١٠٤١هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: ٣٥١/٣، معجم المؤلفين: ٣١٨/٨، الأعلام: ٨/٦.

(٩٩) الأبيات في الدر المنضد الفاخر: الورقة ١٠٤مخطوط، وفي الاستقصا: ١٠٣/٣.

(١٠٠) الروم: ٤.

محمد هل في العصر مثلك شاعر | له معكم في الخافقين ظهور
بني كذا هذا الوداد وانني | سأشدوا وقلبي بالهموم كسير
متى وعسى يثني الزمان عنانه | بعثرة جدّ والزمان عثور
فتُدرك آمال وتُقضى مآرب | وتحدث من بعد الأمور أمور
عليك سلام الله مني وانني | غريب بأقصى المغربين أسير[101]

«انتهى من تاريخ[102] العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الكردودي[103]، رحمه الله بلفظه».

أخي عاملنا الله وإياك بالألطاف، ما يفعله الدهر بالأشراف دون الأطراف، حتى كأنهم له أعداء، أو ربائب، لأجل ما يُجرى عليهم من أنواع المحن والمصائب، وما ذاك إلا لعلو هممهم، وكريم شيمهم؛ ألا ترى أن الخسوف والكسوف لا يقعان بغير الشمس والقمر،كما أن أكثر اهتمام القاطف بالورد والزهر، ومن هذا النمط قول بعض الأدباء على لسان الورد، وهو مشتمل على الغرض والقصد، يتسلى به المحزون، وتخرج به النفس من ضيق الشجون، ونصه:

«أنا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف، واللطيف الذي يزور كما يزور الطيف، فاغتنموا وقتي، فإن الوقت ضيق، أُعطيت نفس العاشق، وكُسيت لون المعشوق، فأروح الناشق، وأهيج المشوق، فأنا الزائر وأنا المزور، فمن طمع في بقائي فإن ذلك زور، ثم إنّ من علامات الدهر المكدور وناء عيشي المزور أنني حيث ما نبتتّ رأيت الأشواك تزاحمني وتجاورني، فأنا بين الأدغال مطروح، وبنبال شوكي مجروح، وهذا دمي يخبر عن رؤيا عدمي، فهذا حالي، وأنا ألطف الأوراد، فمن صبر على نكد الدنيا نال»[104]. انتهى من كتاب (أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول)، للإسحاقي[105] رحمه الله.

---

(١٠١) الخبر في الدر المنضد الفاخر: الورقة ١٠٤مخطوط، وفي الاستقصا: ١٠٣/٢، نقلاً عن كتاب الصفوة لليفرني.

(١٠٢) كتابه الدر المنضد الفاخر بما لأولاد مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر.

(١٠٣) محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالي الحسني الإدريسي، أبو عبد الله، مؤرخ أديب من أهل فاس.(ت ١٢٦٨هـ) ترجمته في سلوة الأنفاس: ٣٣٣/٢، فهرس الفهارس: ٣٦٣/١، الأعلام: ٢١٢/٦.

(١٠٤) أخبار الأول: ٨٧، في ثنايا ترجمة المتوكل على الله بن الواثق، وتكملة القول فيه: فبينما أنا أرفل في ظلّ النضارة، إذ قطعتني أيدي النظارة، فاستلبتني من بين الأزاهير إلى ضيق القوارير، فيذاب جسدي، ويحترق زبدي، ويمزق جلدي، ويقطر دمعي، فجسدي في حرق، ودمعي في غرق، وقد جلعت ما رشح من عرفي تعاهداً بما لاقيت من قلقي، فينادني بهذا الاحتراق أهل الاختراق، ويتزوج بنفسي ذووالأشواق، أهل المعرفة يتوقعون بقائي، وأهل المحبة يتمنون بقائي

فإن غبت عنكم كنت بالروح حاضراً | فسيان قربي إن تأملت والبعد
فلله من أضحى من الناس قائلا | فإنك ماء الورد إذ ذهب الورد

(١٠٥) الإسحاقي، محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن عبد الغني المنوفي الحنفي، مؤرخ أديب، (توفي سنة ١٠٦٠هـ). ترجمته في: الأعلام: ٢٤٧/٦، معجم المؤلفين: ٢٥٤/١٠.

وسُجن ذو الوزارتين، ولسان الدنيا والدين بالعدوتين، تاج أهل البلاغة والمعاني، سيدي ابن الخطيب السلماني[١٠٦]، إلى أن قتل بالسجن، وقصته مشهورة[١٠٧] رحمه الله..

وسجن أبو العباس سيدي أحمد بابا السوداني[١٠٨]، وحُمل إلى مراكش مقيدًا بالحديد، فقل به ما ذكر أبو العباس المنصور[١٠٩]، وبقي محبوسًا مدة مديدة[١١٠]، وكان يُقرئ الطلبة مختصر خليل بالسجن.

وفي بعض الأيام دعا به المنصور للمناظرة[١١١]، فلما أدخل به عليه جعل يكلمه من وراء ستر، فقال له: يا أحمد، تشبهت برب الأرباب، قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[١١٢].

وبقي بالسجن إلى أن توفي المنصور، وسرحه ولده زيدان، المتولّي الملك بعده[١١٣]..

ولما خرج راجعًا لبلده، قال له بعض الطلبة: يا سيدي هات يدك، ومقصوده الوداع، فقال: ما تصنع بها؟ أردت أن تقرأ عليها: **﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾**[١١٤]، لا ردّني الله إلى هذا البلد أبداً[١١٥].

---

(١٠٦) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، أبو عبد الله، لسان الدين بن الخطيب، وزير مؤرخ أديب، نشأ بغرناطة، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل، ثم ابنه من بعده، ثم هرب منها، واستقر بفاس، ولكن صاحب غرناطة طلبه من المستنصر أحمد بن إبراهيم، فسلمه إليه، ووجهت إليه تهمة الزندقة، وقتل بالسجن مخنوقًا. (ت ٧٧٦هـ). ترجمته في: نفح الطيب: ق٢/مج٣/٤، الاستقصا: ٢/٢٢٣، الأعلام: ٦/٢٣٥.

(١٠٧) تنظر قصته في نفح الطيب: ق٢/مج٣/٤.

(١٠٨) أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، مؤرخ، من أهل تنبكت في افريقية الغربية، عارض احتلال المراكشيين لبلدته، فقبض عليه، واقتيد إلى مراكش، وظل معتقلاً إلى سنة ١٠٠٤، وأطلق دون أن يسمح له بمغادرة مراكش، وسمح له سنة ١٠١٤هـ بالعودة إلى بلده. (ت ١٠٣٦هـ). ترجمته في: صفوة من انتشر: ٥٢، فهرس الفهارس: ١/٧٦، الأعلام: ١/١٠٢.

(١٠٩) أحمد بن محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله عبد الله بن عبد الرحمن، من آل زيدان، أبو العباس السعدي، المنصور بالله، ويعرف بالذهبي، رابع سلاطين الدولة السعدية (ت١٠١٢هـ). ترجمته في: خلاصة الأثر: ١/٢٢٢، وجاء اسمه فيه أحمد ابن عبد الله، والاستقصا: ٣/٤٢-٩٥، الأعلام: ١/٢٣٦.

(١١٠) كانت مدة سجنه من محرم سنة ١٠٠٢ إلى رمضان سنة ١٠٠٤هـ، فتكون المدة عامين إلا أربعة أشهر. ينظر نشر المثاني: ١٢٨١، أعلام المغرب الأقصى: ٥/٣٣٤.

(١١١) القصة في أعلام المغرب العربي: ٥/٣٣٤.

(١١٢) سورة الشورى: ٥١.

(١١٣) ينظر أعلام المغرب العربي: ٥/٣٣٤.

(١١٤) القصص: ٨٥.

(١١٥) الخبر في أعلام المغرب العربي: ٥/٣٣٨، وجاء فيه: «ولما كان خارجًا أخذ بعض مشيعيه بيده، وتلا عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾، فنزع يده من يده بسرعة، وقال له: لا ردّني الله إلى هذا المعاد، ولا أرجعني إلى هذه البلاد».

وسُجن الفقيه العلامة الحجة الفهامة سيدي عبد السلام جسوس[116]، حبسه مولانا إسماعيل[117]، وبقي محبوسًا إلى أن صار إلى سعة رحمة الله، تركنا قصته لشهرتها[118].

وسجن العارف الرباني المكاشف الصمداني، شاذلي دهره، وجنيد عصره، سيدي ومولاي العربي الدرقاوي[119]، رضي الله عنه، حبسته قبيلة الأوداية، وبقي بالمحل الذي انتابه أكثر من سنتين صابرًا محتسبًا، وهو يومئذ قطب عمّ به الانتفاع، وشاع خبر ولايته وذاع.

ومن كلامه على سبيل التحدث بالنعم، والشكر على الفضل والكرم: « أني دفعت إلى حضرة ربي في حال صغري بعد البلوغ بنحو عشر سنين دفعة بالغة، فإذا أنا ما أنا، إنما أنا غير أنا، بعد أن كنت أنا، أي بدّل الله وصفي بوصفه، ونعتني بنعته، فكنته لا أنا»، إلى أن قال: «ومن جملة ما كان من أمري أني بحرت في العلم تبحرًا عظيمًا حتى أني لو سئلت عن ألف ألف مسألة لأجبت عنها جوابًا بليغًا؛ إذ صرت كالمصباح، فلو شعل من جميع المصابيح لم ينتقص من ضوئي شيء. والله على ما نقول وكيل» قالها ثلاثًا[120].

وسجن من أصحابه الفقيهان الوجيهان الزاهدان سيدي أحمد وسيدي الهاشمي ابنا عجيبة[121] مع جماعة من فحول الطريقة، المشهود لهم في علمي الشريعة والحقيقة، ومن جملتهم الفقيه سيدي محمد المكودي، المدعو عالم تازة، حبسهم أهل تطوان بغير ذنب اقترفوه، ولا محرم ارتكبوه، وإنما للبسهم المرقعات، وتركهم الدنيا والشهوات، وقد انتصر لهم الشريف البركة سيدي سليمان الحوات[122]، وكاتب ولد عمه سيدي علي بن ريسون[123] بقصيدة أولها، الأبيات: {الطويل}

أبـــا حسن كن مثل والــدك الـــذي　　　تغـيب فـــي شـــكر الشهود عن الحس

---

(116) عبد السلام بن أحمد بن علي بن أحمد جسوس، الفاسي، عالم بالنحو، والفقه، واللغة، والحديث، والتفسير، والأصول، والبيان، وعلم الكلام، توفي مخنوقًا سنة (1121هـ) ترجمته في: اليواقيت الثمينة: 1/203-204، معجم المؤلفين: 5/222.

(117) إسماعيل بن محمد الشريف بن علي المراكشي، الحسني، العلوي الطالبي، أبو النصر، المظفر بالله، من كبار ملوك الإسلام، وأفضل رجال دولة الأشراف السجلماسيين العلويين في المغرب الأقصى، (ت 1139هـ). ترجمته في: الاستقصا: 21-94، الدرر الفاخرة: 29، الأعلام: 1/325.

(118) امتحن وكان امتحانه من أجل امتناعه من الموافقة على تمليك من ملك من العبيد، وحقد عليه السلطان، فاستصفى عامة أمواله، ثم قتله خنقًا. اليواقيت الثمينة: 1/204، نقلاً عن الاستقصاء.

(119) العربي، أو محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن علي الحسني، أبو عبد الله الدرقاوي، متصوف، أول من نشر الطريقة الدرقاوية في المغرب، وهي فرع من الشاذلية. (1239هـ). ترجمته في: سلوة الأنفاس: 1/186، الأعلام: 4/223..

(120) سلوة الأنفاس: 1/186.

(121) أحمد بن محمد بن المهدي الحسيني الأنجري، مفسر،صوفي، مشارك، من أهل المغرب، (ت1224هـ). ترجمته في: اليواقيت الثمينة: 70، ووفاته فيه 1266هـ، شجرة النور: 400، الأعلام: 1/245

وأخوه محمد الهاشمي بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري، (ت1224هـ). ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب: إتحاف المطالع: 7/ق1/2482.

(122) سليمان بن محمد بن عبد الله الشفشاوني الفاسي، الشهير بالحوات، أديب، له اشتغال بالتاريخ، له: ثمرة أنسي في التعريف بنفسي، (ت 1231هـ). ترجمته في: شجرة النور: 379، سلوة الأنفاس: 3/116، الأعلام: 3/133.

(123) لم نجد من ترجم له.

وكن واثقًا بالمــوت يصبح أو يمسي		والا فأهلي منك بالزهد فاسدًا
ودع عنك حظ النفس والرجم بالحدس		ولا تعترض مالست تعلم حكمه
بغيب غدٍ كعلم ما مرَّ بالأمس		وانصف ولا تجحد إذا كنت عالمًا
لطائفة التجريد بالضرب والحبس		فما لكم تسعون سعي معارض
وعلمهما بالله أجلى من الشمس		فكيف يهين ابني عجيبة مسلمٌ
فظُنَّ لديكم أنه كوكب نحس[١٢٤]		وعالم تازا لاح بدر سعوده

إلى آخرها، وهي قصيدة بديعة، تركنا تمامها تفصيًّا من التطويل.

ولما حلّ بهولاء الكرام ما ذكر كتب إليهم الشيخ مولاي العربي بما نصه: «الثبات الثبات، والتجلد والصبر على البليات، وكونوا عباد الله وقت هجم المخوفات، ولا تعتمدوا على الأسباب، وسلموا الأمر لله في كل الحالات، ولا تقفوا مع همّ ولا هول ولا عادات، ولا تلتفتوا لأهل الأحكام والقضاة، وارفعوا هممكم لرب الأرضين والسموات» إلى أن قال: «واجعلوا أنفسكم أرضيّة، وقلوبكم سماوية، وأرواحكم علوية، وأسراركم قدسية، وأفعالكم عبودية، وأقوالكم أذكارية، وأبدانكم أيوبية، وأحوالكم إبراهيمية، وأيمانكم محمدية، ودعوتكم موساوية»[١٢٥] إلى آخرها..

فتحصل مما نقلناه، وبحثنا عنه، وسطرناه، أن المحن والبلايا لا يستغرب وقوعها بأهل المراتب والمزايا، فتسليط الخلق عليهم سنة لم تزل، وأمر لم يجهل، قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: «ودليل هذا كله، يعني تسليط الخلق على أهل الله قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً**﴾[١٢٦]، وكل وليّ له من تلك الفتنة الحظ الوافر، وذلك لأنّ الابتلاء لما كان شرفًا جمع الله تعالى لخواص هذه الأمة من البلايا والمحن جميع ما كان متفرقًا في الأمم السالفة لعلو درجتهم عنده». قلت: ويعجبني قول بهاء الدين ابن القاضي محسن[١٢٧] رحمه الله وهو:		{الكامل}

مخلوقة لنكاية الأحرار		صبرًا على نوب الزمان فإنها
يسري الكسوف لرفعة الأقمار[١٢٨]		لا يكسف النجم الضعيف وإنما

هذا، وغاية نصحي لك أن اتخذ الصبر سلاحًا، والتفويض مصباحًا، فدافع بالأول ما يهجم على قلبك من جنود الأكدار النفسانية، واستضئ بالثاني حال غشيان ليل الخواطر الظلمانية، فإن العبد عبد ولو بلغ ما بلغ.

(١٢٤) لم نجد الخبر ولا الأبيات..

(١٢٥) لواقح الأنوار: ١٥.

(١٢٦) الفرقان: ٢٠.

(١٢٧) لم أجد ترجمته.

(١٢٨) لم نجد الأبيات فيما رجعنا إليه من مراجع.

اللهم لا تختبرنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا، واترك التدبير، ففي تركه خير كثير، وإن حصل للنفس اضطراب، وأبت إلا التعلق بالأسباب، فسرح جفن فكرك، وأمعن نظر سرّك في مادة قوله جلّ علاه: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾**(١٢٩)، **﴿وَإِن يَرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ﴾**(١٣٠)، وتأمل، تولى الله هداي وهداك، قوله ﷺ: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف)(١٣١).

هذا، ومن الحكايات التي تتسع بها مادة اليقين، ويتبع بها جادة الرضى والاستسلام كلّ مؤمن فطين، ما حكاه أبو العتاهية (١٣٢) قال: بينما أنا جالس في حبس الرشيد؛ إذ دخل علينا رجل ذو شهامة ووسامة فسلم، وجلس ساعة لا ينطق، فقلت: أصلحك الله، إن للمسجونين استرواحًا إلى الأخبار، وتطلعًا إلى الحديث، وقد دخلت علينا، فلم تخبرنا بشيء من أمرك، فقال: قال رسول الله ﷺ: (إن للداخل دهشة فابسطوه بالأنس)(١٣٣)، ولم تبدأوني بالبسط والتأنيس، فقلت: صدقت، وقصّ عليه كلّ واحد منّا قصّة، ثم أخرجت سويقا كان عندي، فأسقيته، فبينما هو يشرب إذ دخل علينا الأعوان، فقالوا له: قم، فقد أمر بقتلك، فارتعدنا وهو ساكن الجنان، طيب النفس حتى استتم شرب السويق، ثم قال: أنا حاضر موت يحيى ابن عبد الله بن الحسن(١٣٤) الذي يقول: {الطويل}

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّ ما	**تكرهت منه طال عتبي على الدهر**
إلى الله أشكو الأمر في الخلق كله	**وليس إلى المخلوق شيء من الأمر**

---

(١٢٩) الأنعام: ١٧.

(١٣٠) يونس: ١٠٧.

(١٣١) الحديث في صحيح الترمذي: ٢٠٣/٧، أبواب صفة القيامة، باب ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، قال: هذا حديث حسن صحيح، وفي المسند: بلفظ: (احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)..

(١٣٢) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي بالولاء، أبو إسحاق، شاعر عباسي مكثر، سريع الخاطر، له شعر في الزهد والحكمة والعظة. (ت ٢١١هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: ٧١/١، تاريخ بغداد: ٢٥٠/٦، الشعر والشعراء: ٣٠٩، الأعلام: ٣٢١/١..

(١٣٣) الحديث في فردوس الأخبار: ٢٨/٢، وجاء فيه بلفظ: (للداخل دهشة، فتلقوه بالمرحبى)، وفي رواية: (بالداخل)، وفي كشف الخفاء: ٣٤٩/١، بلفظ: ((بالداخل دهشة، فتلقوه بمرحبا))، قال العجلوني: رواه الديلمي، والمشهور: لكل داخل دهشة،وفي ص٤٧٩، بلفظ: ((الداخل له دهشة))، قال: يروى عن الحسن بن علي مرفوعًا، بزيادة فتلقوه بالمرحبا، وسنده ضعيف، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٩٠/٢ عن سمرة، بسند ضعيف مرفوعًا بلفظ: (للداخل دهشة فحيوه بمرحبًا)، قال: رواه الخطابي في الغريب عن الكسائي، قال: يروى عن ابن عباس أنه قال: لكل داخل برقة، قال الخطابي: البرقة: الدهشة.. وفي الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٣٤٩/١.

(١٣٤) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد، حبسه الرشيد، ومات في حبسه (نحو ١٨٠هـ)، مقاتل الطالبيين: ٣٠٨، تاريخ الطبري: ٥٤/١٠، الأعلام: ١٥٨/٨.

فعوّدت نفسي الصبر حتى ألفته ... وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيرني يائسًا من الناس راجيًا ... لسرعة لطف الله من حيث لا أدري
وأوسع صدري للأذى كرهُ الأذى ... وقد كنت أحيانًا يضيق به صدري
وقد ييأس الإنسان في بعض حاله ... ويأتيه لطف الله من حيث لا يدري

ثم نهض غير مرغوب ولا مرهوب، فلم يُعرف له بعد ذلك خبر. ثم إني لقيته بعد سنين بالموقف[١٣٥]، فتعرفت إليه، وقلت له: ما شأنك وخبرك بعدما فارقتنا؟ فقال: لما دخلت على الرشيد، أمر من مدّ النطع، وجرد السيف، وعصب عيناي، وأمر بقتلي، فرأى شفتي تتحركان، فقال:لم تحرّك شفتيك، لا أمّ لك؟ فقلت بدعاء علمنيه مولاي، فقال: أخبرني به، فقلت: اللهم يا من لا يُردُّ قضاؤه عن كل سلطان منيع، ولا يدفع بلاؤه عن كلّ ذي مجدٍ رفيع، يا كاشف الهمّ عن المأسور الضعيف عند معضل الخطب، ودافع الغم عن المضطر اللهيف عند تزايد الكرب، أسألك بأجلّ الوسائل لديك، وأقرب الوصائل إليك محمد خاتم النبيين، وآل بيته أجمعين، أهل طه ويس، صلى الله عليهم أجمعين، أن تجعل لي من أمري هذا فرجًا، ومن محنتي مخرجًا، إنك سميع الدعاء، جزيل العطاء، فعّال لما تشاء.

قال: فتغرغرت عينا الرشيد بالدموع، ثم قال: حلوا وثاقه، وادفعوا إليه زادًا وراحلة، فرجعت من فوري[١٣٦]. من كتاب أخبار الأول.

فانظر، نظر الله إلينا وإليك بعين لطفه الجميل، وسلك بنا من العافية أحسن سبيل، إلى هذا العبد لما جعل على مولاه اعتماده، وسلب إليه الإرادة، كيف خلصه من السجن والقتل، وانقلب بالنعمة والفضل.

فامدد كفّك لطلب الأمر من محله، وارفع همتك عن جزء الكون وكلّه. تعامل بما تريد، وترى الفرج أقرب إليك من حبل الوريد.

قال عروة بن الزبير[١٣٧] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إني لأدعو الله تعالى في صلاتي في حوائجي كلها، حتى ملح عجيني».

وعن الأصمعي[١٣٨] قال: بينما أنا أطوف بالكعبة، وقائل: يا رب، يا رب، يا رب، إني جائع كما ترى، وناقتي جائعة كما ترى، وابنتي عريانة كما ترى، وزوجتي محتاجة كما ترى، فما ترى فيما ترى، يا من يرى ولا يُرى. قال: فمددت يدي إلى دنانير كانت معي، فقلت: يا سيدي، خذها استعن بها على فقرك. قال: فرماها، وقال: إن الذي أملناه أبسط منك يدًا. قال: فما استتم كلامه إلا ومنادٍ ينادي: يا فلان، أدرك عمّك وقد مات،

(١٣٥) أي في جبل عرفات..

(١٣٦) أخبار الأول: ٦٨..

(١٣٧) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، شقيق عبد الله بن الزبير، (ت٩٣هـ)، ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣١٦/١، صفة الصفوة: ٤٧/٢، أعلام: ٢٢٦/٤.

(١٣٨) عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، (ت٢١٦هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: ٢٨٨/١، تاريخ بغداد: ٤١٠/١٠، الأعلام: ١٦٢/٤.

وخلف أربع مئة ناقة، وأربع مئة ثور، وأربع مئة مثقال ذهب، فامض إليه فخذها، فإنك وارثه[139]. من الفشني[140] على الأربعين النووية[141].

فأصل هذا كله الثقة بالله، والنظر إلى قوله عليه السلام: (رفعت الأقلام، وجفت الصحف)[142]

واعلم أن الحق جل جلاله غيور، لا أحد أغير منه[143]، وأنه لا يرضى لعبده أن يرفع حاجته إلى غيره، كيف، والكل في قبضة سطوته وقهره [144][145].

عن وهب بن منبه[146] رضي الله عنه قال: إن يوسف عليه السلام لبث في السجن ستّ سنين بعد قوله: ﴿**اذْكُرْنِي**﴾[147] لما قالها للغلام. وفي الحديث: (رحم الله أخي يوسف، لولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن بضع سنين)[148].

ويروى أنه لما أراد أن يخرج من السجن بكى أهل السجن قاطبة لفراقه، فدعا لهم ثلاث دعوات، فقال: اللهم اعطف على المسجونين قلوب العباد، اللهم ادفع عنهم شدّة الحر والبرد، اللهم ائتهم بالأخبار في كل يوم من سائر البلاد. ثم كتب على باب السجن: هذا قبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء. وإلى هذا أشار بعضهم بقوله: {الكامل}

دعـــوى الإخـاء عـلى الـرخاء كـثيرة ‏ ‏ ‏ ‏ بـــل بالشـــدائد تـــعرف الأخـــوان

فأحذر كلّ الحذر من أن ترفع أمرك إلى غير مولاك، الذي خلقك وسوّاك، واسجد واقترب يُضئك بالفرج من حيث لا تحتسب.

سجن الحجاج بن يوسف[149] رجلاً صالحًا، فلم يصبح بالسجن، فحمل السجان كفنًا وحنوطًا، وذهب إلى الحجاج جازمًا بقتله، فلما قصّ عليه القصة، قال له الحجاج: هل قال شيئًا؟ قال: نعم، لما كنا نجعل

(139) القصة في المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية: 97.

(140) أحمد بن حجازي بن بدير الفشني، فقيه شافعي، (ت بعد 978هـ). ترجمته في: معجم المطبوعات: 1453، الأعلام: 109/1.

(141) الكتاب بعنوان المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية، يشرح فيه كتاب الأربعين النووية، وهو مطبوع.

(142) قطعة من حديث النبي ﷺ، والحديث بتمامه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يومًا فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الاقلام ورفعت الصحف). رواه الترمذي في صحيحه: 202/7، أبواب صفة القيامة، باب ولكن يا حنظلة ساعة وساعة.

(143) في حديث رواه الترمذي في صحيحه: 184/9، الدعوات، باب لا أحد أغير من الله، قال ﷺ: (لا أحد أغير من الله، ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبّ إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه).

(144) حيث جاء في القرآن: ﴿**والله يقبض ويبصط واليه ترجعون**﴾، (البقرة: 245)

(145) وقوله تعالى: ﴿**والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة**﴾ (الزمر: 67)

(146) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله، مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، تولى لعمر بن عبد العزيز قضاء اليمن، (ت114هـ). ترجمته في: المعارف: 202، شذرات الذهب: 150/1، الأعلام: 127/8 ..

(147) إشارة إلى قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾.

(148) الحديث في فتح الباري: 419/6، صحيح ابن حبان: 86/14، موارد الظمآن: 432/1، الزهد لابن أبي عاصم: 80/1.

(149) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد داهية، سفاك خطيب، قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، قاتل ابن الزبير، (ت95هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: 123/1، مروج الذهب: 103/2-119، الأعلام: 168/2.

عليه القيد، رفع طرفه إلى السماء، وقال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾[150]، فقال الحجاج: اذهب سالماً، فإن الذي ذكر بمحضري سرّحه في غيبتك بمحبته.

قال[151] في حديقة الأفراح[152]: أخبر أبو زيد التميمي الكاتب بأصبهان، قال: بلغني أن كسرى أنوشروان حبس بزرجمهر، فبقي في الحبس سنين عديدة، لم يستخبر عن حاله أحد، فوجه إليه كسرى يبحث عن حاله، فلما أخبر به سأله عن صبره، فقال: إني استعملت لنفسي جوارش[153] من ستة أشياء آكل كل يوم خلطاً منها؛ الأول: الثقة بالله، والثاني: الصبر خير ما استعمله الممتحَن، والثالث: إن لم أصبر فأيش أعمل، والرابع: قد يقع شرٌّ مما أنا فيه، والخامس: من ساعة إلى ساعة فرج، والسادس: الرضى بمقادير الله رأس مال حسن[154].

وما أحسن قول الشافعي[155]: {الكامل}

ولـرب حادثـــة يضـــيق بهـا الفتى ... ذرعًـــا وعـــند الله منـــها المخـــرج

ضاقـــت فلـما استحكـمت حلقـــاتها ... فـرجـت وكـــان يظـنها لا تفـــرج[156]

غيره: {الوافر}

توقـــع صـــنع ربـــك ســـوف يـــأتي ... بمـا تهـــواه مـــن فـــرج قـــريب

ولا تـــيأس إذا مـــا نـــاب خـــطب ... فـــكم فـي الغـيب من عجب عجيب[157]

واترك أخي مجالسة الغافلين ومذاكرة الجاهلين، الذين يقولون لك: لو لم تفعل كذا لم يقع كذا، فتصير إذ ذاك المصيبة متعددة، وكربها متجددة، وأكثر من الدعاء والاستغفار غالب الليل والنهار فإن ذلك يرد البلاء، قال[158] في الهمزية[159]:

وقـد ينـجد الغـريق النـــداء[160]

---

(١٥٠) الأعـراف: ٥٤.

(١٥١) هو الشرواني، أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري، أديب يماني، له: الجوهر الوقاد في شرح بانت سعاد، وحديقة الأفراح لإزاحة الأتراح، في لطائف اليمنيين والحجازيين ومصر والشام والعراق والهند وغيرهم(ت١٢٥٣هـ). ترجمته في نيل الوطر: ١/٢١٢.

(١٥٢) كتاب حديقة الأفراح لإزالة الأتراح، للشرواني، أحمد بن محمد بن علي اليمني.

(١٥٣) الجوارش: اسم أعجمي، معناه الهاضم، وهو معاجين ومركبات صيدلانية، تجمع وتسحق وتعمل بشكل عجينة بوساطة العسل. جامع الغرض: ٥٣٦. والكتاب مطبوع. الإيضاح: ١/٣٩٧.

(١٥٤) حديقة الأفراح: ٢٦٤.

(١٥٥) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، توفي سنة ٢٠٤ هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان: ١/٤٤٧، طبقات الشافعية: ١/١٨٥، الأعلام: ٦/٣٦.

(١٥٦) ديوانه: ٤٣، ووردا في الأضواء المبهجة: ٧٦.

(١٥٧) البيتان في: المخزون في تسلية المحزون: ٧٣، دون نسبة، وفي شرح السرائر المنزعجة بشرح القصيدة المنفرجة، مخطوط: الورقة ٥ب -٦أ.

(١٥٨) البوصيري: محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي، شرف الدين، له ديوان شعر مطبوع، وأشهر شعره قصيدة البردة، والهمزية، (ت٦٩٦هـ). ترجمته في: فوات الوفيات: ٢/٢٠٥، الوافي بالوفيات: ٣/١٠٥-١١٣، الأعلام: ٦/١٣٩.

(١٥٩) قصيدة يمدح بها البوصيري الرسول ﷺ، ومطلعها:

كيف ترقي رقيّك الأنبياء ... يا سماءً ما طاولتها سماء.

(١٦٠) عجز بيت من أبيات الهمزية، وصدره: ثمّ ناداه بعد ما سيمت الخسف

واجعل أنيسك ذكر رب العالمين، واستغرق الوقت في تلاوة الكتاب المبين، شغلاً عن اللاهين {ولا سيما}(١٦١) من يكرر عليك وقتك بأن ينقل إليك كلام الشامتين، واعمل على قولي:

{مجزوء الكامل}

ارجـع فمـا هـــذا الـزما ... ن زمان أنس بالصحاب

إن السـلامـــة في اعـتزا ... ل واغتراب واجتنـــاب

فاجـعل أنيســك ذكـر من ... يهـدي إليـه من أنــاب

مـا النــاس إلا حـــاسد ... أو شامت عنـد المصاب

أو من عـليك لـدى المـــلا ... يحصي لأمــر ما يعاب

فــإذا تنصـــل غاضـــبا ... يفشي العيوب مع العتاب

ذهــب الكـــرام ذوو الـوفا ... أهل السماحة والصواب

ولــقد رأيـــنا بعـــدهـم ... قومًا لهم وصف الذياب

يـــا نفس صـــبرًا دائـمًا ... عـلّ المعيـشة تُستـطاب

وإذا رمـــــيت بقــــولـة ... من عـائب خـلّ الجواب

كـــم فـاضلٍ ذي منصـــب ... ســمع القبيح فما أجاب

مـــا ســــاد إلا عـــاقل ... لا مــن تشـبّه بالكلاب

فالحـــــلم أفضـل حـــلـة ... ثـوب كـــفيل بالثـــواب

والصـــبر نصـر للفـتـى ... مـا نـالـه عـبد فخـــاب

والصـمـت حـصن مانـــع ... من يرتضيه فقد أصاب(١٦٢)

وها أنا أوصيتك وصية الأب الشفيق، وسليتك تسلية الأخ الشفيق، وأجري في ذلك على الله، وهو المسؤول أن لا يستريح قلمي من كتابة هذه التسلية حتى أشرع بحوله وقوته في التهنية، إن الله على كل شيء قدير.

ومما يُدفع به الغم، ويَحسن به الختم، ما روي أن مولانا عليًّا(١٦٣)، كرّمَ الله وجهه، كان إذا أهمه أمر يرفع

من الأبيات التي يتحدث فيها البوصيري عن قصة سراقة، حيث تبع النبي ليفوز بجائزة قريش لمن يمسك بالنبي ﷺ.

(١٦١) في الأصل سيّما، وهو خطأ نحوي، لأن سيّما لا بد من أن تسبق بلا النافية للجنس، فنقول ولا سيّما أو لا سيّما. ينظر كتابنا الإعراب الكامل: ٢١٧.

(١٦٢) الأبيات من نظم مؤلف هذه الرسالة.

(١٦٣) علي بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة، (ت٤٠هـ)، قتله عبد الرحمن بن ملجم غيلة. ترجمته في: مقاتل الطالبيين: ١٤، حلية الأولياء: ١/٦١، الأعلام: ٤/٢٩٥.

يديه إلى السماء، ثم يقول: «يا كهيعص، أعوذ بك من الذنوب التي بها تزيل النعم، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحل النقم، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تثير الأعداء، وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحبس غيث السماء»(١٦٤).

وعنه عليه السلام: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها، وأبدلني خيراً منها»(١٦٥).

وعنه عليه السلام: «لا حول ولا قوة إلا بالله براءة من الشرك، وكنز من كنوز الجنـة»(١٦٦).

وعنه عليه السلام: «آخر ما تكلم به إبراهيم حين أُلقي في النار، حسبي الله ونعم الوكيل»(١٦٧).

وكتبه أخوكم في الله إدريس بن عليّ السناني، ستر الله عيبه، ونور بمحبته قلبه، آمين.

وكان الفراغ من إخراجها من مبيضتها يوم الأربعاء سادس قعدة الحرام فتح عام تسعة وتسعين ومائتين وألف.

انتهت على يد كاتبها لنفسه، ثم لمن شاء من بعده، أفقر العبيد إلى مولاه، المعترف بما جناه، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الكلالي أصلاً الكردودي لقبًا، غفر الله ذنبه، وستر عيبه، وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعة سادس وعشر محرم الحرام عام ثلاثمائة وألف.

(١٦٤) الدعاء في نور الأبصار: ١٤٠، تحت عنوان فائدة استطرادية، تخللت فصل ذكر مناقب زين العابدين.

(١٦٥) الحديث في صحيح مسلم: برواية: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون....)

(١٦٦) جاء في صحيح الترمذي: ٢٢٨/٩، أبواب الدعوات، باب فضل لاحول ولا قوة إلا بالله، عن أبي هـريرة: (أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة)، قال مكحول: «فمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا منجا من الله إلا إليه، كشف عنه سبعين بابًا من الضرّ، أدناهنّ الفقر».

الملاحظ أنه يخلو من (براءة من الشرك)، وقد وردت في حديث آخر رواه الترمذي في صحيحه: ١٠٩/٩، الدعوات، باب قراءة قل يا أيها الكافرون، عن فروة بن نوفل، أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله، إذا أويت إلى فراشي، فقال: (اقرأ قل يا أيها الكافرون، فإنها براءة من الشرك).

(١٦٧) الحديث في الفردوس بمأثور الخطاب: ٢٦٩/٣، وتاريخ بغداد: ٢٦٩/٥، تهذيب الأسماء: ١١٣/١، قال في كشف الخفاء: ١٤/١، رواه الخطيب البغدادي بسند ضعيف عن أبي هريرة، وحلية الأولياء: ١٩/١ مرفوعًا، والجامع الصغير: ٥، عن الخطيب، وقال غريب، والمحفوظ عن ابن عباس موقوف، وفي المستدرك على الصحيحين: ٣٢٦/٢، والسنن الكبرى: ١٥٤/٦،٣١٦، وجاء في مصنف ابن أبي شيبة: ٩١/١٤، بلفظ: أول كلمة قالها... الحديث، وعنه نقله السيوطي في كتابه الوسائل إلى معرفة الأوائل: ١٨٣، وعنه نقله السكتواري، علي دده: ١١٥.

المصادر والمراجع

- **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، ط٢، الدار البيضاء، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- **إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين**، لمحمد بن الصبان، مطبوع على حاشية نور الأبصار في مناقب آل بيت المصطفى المختار، مصر.د.ت.
- **الإعراب الكامل للأدوات النحوية**، لعبد القادر أحمد عبد القادر، ط ١، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **أعلام المغرب العربي، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، لمحمد الطيب القادري، تح.د. محمد حجي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، لمحمد بن محمد، ابن مريم التلمساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، طبعة مصر، ١٣٤٩هـ.
- **تاريخ الطبري**، لمحمد بن جرير الطبري، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م.
- **التشوف إلى رجال التصوف**، ليوسف بن يحيى التادلي، بعناية أدولف فور، معهد الأبحاث العليا المغربية، مطبوعات أفريقية الشمالية الفنية، الرباط، ١٩٥٨م.
- **حديقة الأفراح وإزاحة الأتراح**، للشرواني اليمني، طبعة مصر،د.ت.
- **الدر المنضد الفاخر بما لأولاد مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر**، لمحمد بن عبد القادر الكردودي، مخطوط.
- **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، لعبد الرحمن بن زيدان الحسني، الرباط، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد، ١٩٤٥م/١٩٥٠م.
- **ديوان ابن الرومي**، لابن الرومي، تح.د.حسين نصار، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٧٧م.
- **ديوان السري الرفاء**، للسري الرفاء، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- **ديوان الشافعي**، لمحمد بن إدريس، تح. محمد علي بلطه جي، ط٢، دار الخير، بيروت.
- **ديوان المعتمد بن عباد**، للمعتمد على الله بن عباد، جمع وتحقيق أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، إدارة نشر التراث القديم، الإدارة العامة للثقافة، وزارة المعارف العمومية، القاهرة،١٩٥١م.
- **سلوة الأنفاس**، لمحمد بن جعفر الكتاني، ط حجرية، الرباط.
- **شجرة النور الزكية**، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر، د.ت.
- **شذرات الذهب**، لابن العماد الحنبلي، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
- **شرح السرائر المنزعجة بشرح القصيدة المنفرجة**، للبصروي، مخطوط.
- **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة، شرح أحمد محمد شاكر، مصر، ١٣٦٤هـ.
- **صحيح الترمذي**، لمحمد عيسى الترمذي، بإشراف عزت عبيد الدعاس،دار الدعوة، حمص - سوريا.
- **صحيح مسلم بشرح النووي**، لمسلم بن الحجاج، طبعة مصر، د.ت.
- **صفة الصفوة**، لأبي الفرج، عبد الرحمن، ابن الجوزي، تح. أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- **صفة الصفوة**، لأبي الفرج، عبد الرحمن، ابن الجوزي، حيدر آباد،١٣٥٥هـ.
- **صفة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، لمحمد الصغير الإفراني، طبعةحجر، المغرب،د.ت.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين السبكي، طبعة مصر،١٣٢٤هـ.
- **الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة**، لعلي بن محمد، ابن الصباغ، ط٢، دار الأضواء، بيروت - لبنان،١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- **فهرس الفهارس والأثبات**، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء د. إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **فوات الوفيات**، لابن شاكر الكتبي، طبعة مصر، ١٢٩٩هـ.

- **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي، تح. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **القصيدة الهمزية في مدح خير البرية**، للبوصيري، مكتبة عبد الرحمن محمد، القاهرة،١٣٥٧هـ.
- **قلائد العقيان**، للفتح بن خاقان، تح. محمد الطاهر ابن عاشور، ط١، الدار التونسية للنشر،١٩٩٠م.
- **الكواكب الدرية في تراجم الصوفية**، لعبد الرؤوف المناوي تح. محمد أديب الجادر، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.
- **لطائف أخبار الأول**، للإسحاقي، مصر، د.ت.
- **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، الطبقات الكبرى**، لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني، ط١،دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، الطبقات الكبرى**، لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني، طبعة مصر، ١٢٧٦هـ.
- **لواقح الأنوارالقدسية في بيان العهود المحمدية**، لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني،ط٢، البابي الحلبي،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- **المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية**، لأحمد بن حجازي الفشني، طبعة مصر.د.ت.
- محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، لعلي دده السكتواري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودي، ط.باريس،١٨٦١-١٩٣٠م.
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودي، ط.مصر، ١٢٨٣هـ.
- **مطمح الأنفس**، للفتح بن خاقان، طبعة الجوائب، استانبول،١٣٠٢هـ.
- **المعارف**، لابن قيبية، طبعة مصر، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- **معجم الشعراء**، للمرزباني، طبعة مصر، ١٣٥٤هـ.
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، استانبول، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، لطاش كبري زاده، حيدر آباد، ١٣٢٩هـ.
- **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الأصبهاني، طبعة مصر، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
- **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الأصبهاني، طبعة النجف،١٣٥٣هـ.
- **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، لمحمد الطيب القادري، طبعة فاس،١٣١٥هـ.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، للمقري، طبعة مصر،١٣٠٢.
- **نور الأبصار في مناقب آل بيت المصطفى المختار**، لمؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، طبعة مصر.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، لأحمد بابا التنبكتي، إشراف عبدالحميد عبد الله الهرامة، ط١، كلية الدعوة، طرابلس - ليبيا،١٩٨٩م.
- الوسائل إلى معرفة الأوائل، للجلال السيوطي، تح. عبد القادر أحمد عبد القادر، ط ١، دار الوفاء ـ المنصورة، مكتبة ابن قتيبة ـ الكويت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، طبعة مصر، ١٣١٠هـ.
- **يتيمة الدهر**، للثعالبي، طبعة دمشق، ١٣٠٣هـ.
- **اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب عالم المدينة**. لمحمد البشير ظافر المصري، طبعة مصر، ١٣٢٤.